بسم الله الرحمن الرحيم

مقرر مادة

المسلمون والمغول

د / عواطف بنت محمد بن يوسف نواب

الفصل الثاني

١٤٣٤ / ١٤٣٥ هـ

قبائل الترك والمغول في القرن السادس الهجري :

من السهل الحديث عن تاريخ الدول المتحضرة التي كانت في قارة آسيا في القرن السادس الهجري والتي أرتبط فترة من تاريخها بتاريخ المغول . ولكن البحث عن طوائف الأتراك والمغول التي سكنت أيضاً تلك القارة في ذلك الوقت من الصعب علينا أن نصل إلى حقائق ثابتة في هذا الموضوع للأسباب الآتية : -

١ – سيرة تلك القبائل لم تنسق أو تنتظم .

٢ – أحداثها التاريخية شديدة الإضطراب مما يجعل من المستحيل إلتماس خيط واحد يضم هذه القبائل بأسرها . فالأحداث الداخلية والحروب التي نشبت دائماً بين القبائل والتي يجب ان يتتبعها الباحث حتى يقف على ما يجري بين هذه القبائل من محالفات فهذا أدى إلى معوقات في وجه الباحث فتعطله عن المضي في دراسته . وبالرغم من ذلك وجدت مصادر كثيرة كتبت في تاريخ المغول ، ولكنها لا تمدنا بمعلومات كافية عن أصل القبائل المغولية والتركية ولا أجناس الأمراء والشخصيات الأخرى البارزة .

ومن المعوقات في هذه المصادر التي كتبت في تاريخ المغول المبكر أنها قليلة ، علاوة على عرضها في سلسلة معلومات ناقصة وتعوزها الدقة .

والنتيجة : نجد أن تاريخ المغول البدائي لا يزال يكتنفه الغموض ويخيم عليه الظلام وتختلط به الخرافات والأساطير . وبالرغم مما ورد في هذه المصادر من أخبار قليلة عنهم لم يوجد من يتحقق أخبارهم فالأتراك والمغول وشعبهم يتشابهون ولغتهم في الأصل واحدة . فالمغول صنف من الأتراك بينهم تفاوت كثير وإختلاف . فعلى الباحث التمييز بين الحقائق التاريخية المقبولة وبين الأساطير .

ومن المؤرخين الذين كانت معلوماتهم ذات قيمة ومدعمة بالوثائق والسجلات عن المغول هو كتاب (جامع التواريخ) الذي كتبه باللغة الفارسية في عام (٧١٠ هـ) المؤرخ الكبير رشيد الدين فضل الله الهمذاني . ولولا هذا الكتاب لجهلنا الشيء الكثير عن شعب القبائل التركية والمغولية . لذا يعد من أهم الكتب .

ما وجد في القرن السادس الهجري في قارة آسيا من الدول والقبائل : -

أولاً : - (أ) – أسرة (كين) : يرأسون طوائف من الجنس الأصفر ويسيطرون على ممالك الخطا أي الصين الشمالية . بالإضافة إلى أملاكهم الأصلية في منشوريا ومنغوليا . وقد أتخذوا مدينة بكين عاصمة لهم ؛ ثم انتقلوا بعد ذلك إلى مدينة (كاي فونج) بدلاً من (بكين) وكان المغول يطلقون على حكام هذه الأسرة لقب (التون خان) .

(ب) أسرة (سونج) : كانوا يسيطرون على أقاليم الصين الجنوبية وأتخذوا مدينة (هانج تشو) عاصمة لهم .

ثانياً : - الأتراك الأيغوريون : كانوا يسكنون المنطقة الواقعة شمال شرقي تركستان الحالية ، وتذكر الروايات أن (أوغوز) أبا الأتراك كان يؤمن بالله ويدين بالوحدانية ، ولكن أباه وأعمامه كانوا كفاراً فقاموا ضده وأرادوا القضاء عليه فأنضم إليه بعض أقاربه يساندونه فأطلق عليهم اسم (أويغور) فغلب عليهم هذا الاسم وهو بمعنى (الإرتباط والتعاون) وهي كلمة تركية . وقامت الحرب بينهم وانتصر (أوغوز) وأتباعه ؛ ومن هذه الجماعة تناسل جميع أقوام الأيغور

ومن المعروف عن الإيغوريين أنهم بقوا مدة طويلة دون ملك أو رئيس ، إذ كلما ظهر شخص قوي من بين طوائفهم يصبح أمير عليهم ؛ وتشاورت تلك الطوائف وقالوا لا بد من ملك يخضع له الجميع فوقع اختيارهم على شخص يدعى (منكو باي) ولقبوه (ايل ايلتريز) ثم اختاروا شخصاً آخر عرف بمقدرته وكفاءته من قوم (أورقندر) ولقبوه بلقب (كول ايركين) ونصبوا الإثنين ملكين على جميع الأقوام وأستمر أعقابهما يحكمون مدة (١٠٠ سنة) . وبعدها أصطلح الأيغور على تسمية ملكهم باسم (ايدي قوت) وتعني رئيس الدولة ؛ والمعروف عن الإيغوريين أنهم كانوا أكثر الأقوام التركية تمدناً وكانت ديانتهم (المانوية ، البوذية ، المسيحية)

ثالثاً : - الأتراك القرا خطائيون : كانت لهم دولة كبيرة قبيل الغزو المغولي ، تقع بين مملكة الخوارزميين في الغرب ومساكن المغول في الشرق . وكان الحد الفاصل بين قبائل القراخطائيين والدوله الخوارزمية شاطئ نهر سيحون . وأصل القراخطائيون من قبائل الخطا النازحين من شمال الصين . وقد ورد اسم هذه القبائل في المراجع الصينية منذ القرن الرابع الميلادي ، أي قبل ظهور الإسلام بزمن طويل . وهم خليط من المغول والتانجوت . وقد ظهر من بينهم في بداية القرن الرابع الهجري زعيم قوي أخضع القبائل لسلطته ونصب نفسه ملكاً عليهم وسمى نفسه (تاي تسو) واستطاع خلفه أن يخضع شمال بلاد الصين ومنح أسرته لقب (لياؤو) نسبة إلى الإقليم المسمى بهذا الاسم واستمرت هذه الإسرة تحكم حوالي قرنين من الزمان .

ويرجع سبب هجرة هذه القبائل إلى من موطنهم الأصلي في شمال بلاد الصين إلى أضطراب الأحوال السياسية في النصف الأول من القرن السادس الهجري فساروا إلى أن نزلوا بإقليم التركستان . فأقاليم الصين في ذلك الوقت تعرضت لموجة من الإضطرابات وعدم الإستقرار وتعاقب على حكمها عدة أسر إلى أن توحدت على يد إحدى الأسر القوية وهي أسرة (سونج) وكانت تجاورها في الشمال قبائل الخطا في جنوب منشوريا في الأقليم المعروف باسم إقليم (لياؤو) وكان هؤلاء الخطا من القوة بحيث أستطاعوا أن يفرضوا على أسرة (سونج) جزية سنوية كانت تدفعها درءاً لشرهم .

وكانت قبائل الخطا تسيطر على أقاليم الصين الشمالية غير أنهم أنغمسوا في المدنية وركنوا إلى الدعة بعد أن كانوا شعب محارب إذ بهرتهم الحضارة الصينية ففقدوا روحهم الحربية وتطرق الضعف إليهم تدريجياً ، فأنتهزت هذه الفرصة جماعة (كين) وكانوا يسكنون أحد أقاليم منشوريا ويتبعون الخطا فحاربوهم وعجز الخطا عن مقاومتهم فنهارت دولتهم في الصين الشمالية .

رابعاً : الخوارزميون : شملت دولتهم كل منطقة ما وراء النهر و إيران تقريباً . وهم من أصل تركي ويدينون بالإسلام وكانت ثقافتهم عربية فارسية .

خامساً : بقية بلدان آسيا الإسلامية تقع غرب الدولة الخوارزمية وهي مقسمة بين طائفة الإسماعيلية في قاعدتهم (ألموت) وثقافتهم فارسية . وبين الخلفاء العباسيين في بغداد وثقافتهم عربية ، وسلاطين الأيوبيين وهم من أصل كردي وذو ثقافة عربية ومقرهم في سوريا ومصر ، وبين سلاجقة الروم وهم من اصل تركي ومغرمون جداً بالثقافة الفارسية ومقرهم آسيا الصغرى فهذه أهم الدول الآسيوية المتحضرة . ولكن كان هناك في أقصى الشمال أي على حدود سيبيريا المغولية وفي إقليم السهوب شمال صحراء جوبي نحو جبال (التاي وخانجاي وكنتاي) بقيت مجموعة كبيرة أشبه ما تكون بخلية النحل من حيث تعدد قبائلها وكثرة حركاتها وتنقلاتها من مكان لآخر .

إن التاريخ الداخلي للإستبس هو تاريخ جموع الترك والمغول الذين تنازعوا وتخاصموا من أجل الحصول على المراعي الغزيرة ، فكانوا أثناء حركتهم في المساحات الشاسعة التي هيأت للفرسان منهم كل ما يلائمهم من تركيب جسماني ونوع خاص من الحياة وهذه القبائل من البدو الرحل التابعين للفروع الثلاثة وهم :

أ – الأتراك ب – المغول ج – التونغوز الذين يسمون أحياناً (صولون) ومعناها بلغة التانجوت (الصيادون والرماة) . وجميع هذه القبائل من الجنس الأكتائي بالرغم من وجود إختلاف في لغاتهم إلا أن غالبيتهم من البدو الذين يقطنون الأقاليم العليا من آسيا . وكانت حياتهم تجري على نظام واحد ويعيشون في جو واحد متقاربي الشبه والخلقة ؛ فهم يتمتعون بصفات بدنية تناسب البيئة التي نشأوا فيها ، وكانت وجوههم عريضة ورؤوسهم كبيرة وأنوفهم فطساء وخدودهم بارزة وعيونهم صغيرة غائرة ذات جفون مسترخية وشفاههم غليظة وذقونهم جرداء وشعورهم سوداء خشنة وجلودهم سمراء تميل إلى السواد قد لفحتها الشمس وأثرت فيها الرياح والثلوج وهم قصار القامة ذوو أجسام ممتلئة كاكتل وأفخاذهم قوية العضلات . أما أماكن استقرار أشهر هذه القبائل : -

١ – قبائل التتار : - يقطنون المنطقة التي يحدها شمالاً بنهري أرقون وسلنجا ومملكة القرغيز وشرقاً بأقليم الخطا (الصين الشمالية) وغرباً بممالك الأويغور وجنوباً بأقليم التبت ومملكة التانجوت . وكانت هذه القبائل من أشد قبائل الجنس الأصفر بطشاً وجبروتاً في أقاليم آسيا الشمالية . وهم يتشعبون إلى شعب كثيرة وكانوا أكثر القبائل البدو رفاهية وتنعماً وثراءً . وكانوا في أغلب أوقاتهم مطيعين وخاضعين لملوك الخطا ؛ ولكن من حين لآخر يثورون فيسرع الخطا لإخضاعهم . وعرف عن هؤلاء التتار شدة البأس والجبروت ، وكانوا يعيشون في صراع دائم مع بعضهم البعض . وكانت الحروب تنشب بينهم لأتفه الأسباب وتستمر عدة سنوات ؛ وأشتهروا أيضاً بالطعان والنزال ، ولم يكن لهم قانون يحكمهم أو شريعة يسيرون عليها ، وأستطاع هؤلاء التتار إخضاع أغلب القبائل إذ يتمتعون بشهرة واسعة وشوكة كبيرة بحيث أن قبائل الأتراك الأخرى على إختلاف مراتبهم وطبقاتهم كانوا يتسمون باسمهم فأطلق على الجميع (تاتار أو تتر) .

ولم يهدأ صراع هؤلاء التتار مع بعضهم البعض حتى ظهر جنكيز خان . ولما كان هؤلاء التتار يعادون المغول ويناصرون القبائل الثائرة عليهم كان جنكيز خان يعتبرهم وينظر إليهم على أنهم ألد أعدائه وأعداء أبائه وأجداده . فبعد أن انتهى من القضاء على القبائل المناوئة له تفرغ للتتار ؛ وكان مدفوعاً بدافع الحقد عليهم والإنتقام منهم . فقام مع جنوده بإستئصال شأفتهم إذ أصدر أمراً قاطعاً بألا يترك واحد منهم على قيد الحياة ، وتنفيذاً لهذا القرار الرهيب صار جنود المغول يقتلون حتى النساء والأطفال ويشقون بطون الحوامل لأنه تأكد لدى المغول أن التتار هم سبب الفتنة وأس الفساد . ولم يقف جنكيز خان عند هذا الحد بل إنه لم يترك فرصة لأي شخص بحماية هؤلاء التتار أو إخفاءهم . وبالرغم من الأوامر المشددة فقد أقبل كثير من

المغول على الزواج من بنات التتار وكان النسل الجديد يضم كبار قواد المغول وزعمائهم . وعليه نستنتج أن التتار كانوا قبائل مستقلة عن المغول ولكن من الغريب أنه على إثر غنتصار جنكيز خان على التتار أطلق اسمهم عليهم وعلى أتباعه . ففي بدء هجوم المغول على الممالك الإسلامية كانوا يعرفون بالتتار ، أطلق عليهم أيضاً اسم المغول فأشتهروا في التاريخ بهذين الإسمين معاً .

٢ – قوم كرايت : موطنهم الأصلي الواحات الشرقية الداخلة في صحراء جوبي وجنوب بحيرة بايكال حتى سور الصين العظيم . وهم من المغول ويذكر أحد المؤرخين وهو جروسيه إنه لا يعلم على وجه الدقة ما إذا كان هؤلاء من المغول أم من الأتراك . ولكن المعروف أن كثير من رؤسائهم كانوا أتراكاً . وكان هؤلاء القوم يدينون بالمسيحية . ومنذ أن أعتنق ملكهم المسيحية في سنة ٣٩٨ هـ ذاع أمره في أوروبا وراجت الأساطير والخرافات عن هذه الطائفة وملكهم . وظلت قبائل الكرايت منذ القرنين ٥ – ٦ هـ أقوى أقوام المغول إذ أخضعوا أغلب الطوائف في الأطراف . وكان (طغرل) من أشهر ملوكهم إذ تغلب على عمه (كورخان) بمساعدة رئيس مغولي هو (يسوكاي) والد جنكيز خان ؛ كما أستطاع (طغرل) هزيمة التتار تلبية لرغبة إمبراطور الصين من أسرة (كين) فأصبح طغرل أقوى ملك في منغوليا ؛ ومنحه إمبراطور كين تقديراً لأعماله اللقب الصيني للملك وهو (انج) وعرف في التاريخ بلقبيه الصيني والتركي وهما (وانج خان) وكان الكرايت يعادون جمعاً كبيراً من الأقوام الأخرى لا سيما قوم (النايمان) وفي عهد جنكيز خان كان (أونك خان) ملكاً على قبائل الكرايت ؛ وفي بادئ الأمر كانت تربطهما مودة وصداقة وكان جنكيز خان في سلوكه هذا يقتدي بأبيه يسوكاي بهادر ؛ غير أن هذه الصداقة لم تدم طويلاً إذ اضطر جنكيز خان إلى محاربة (أونك خان) والقضاء عليه .

٣ – قوم مركيت : يطلق عليهم أيضاً اسم (مكريت) يسكنون المنطقة الواقعة شمال بلاد الكرايت على مجرى نهر سلنجا وجنوب بحيرة بايكال ولهم جيش قوي ذو بأس شديد في الحروب ، ويعدون أصلاً من جنس المغول ، ولكنهم قاموا بعدة حروب ضد جنكيز خان وأونك خان ؛ وعرف عن هذا الشعب ميلهم إلى الشغب وإثارة الفتن ؛ ولهذا شن عليهم جنكيز خان حرباً شعواء مستعملاً أقسى القوة ، بل أصدر أمره بالقضاء عليهم جميعاً . فلم ينج منهم إلا الهاربين أو ممن استطاعوا افختباء لدى أقاربهم أو كانوا أجنة في بطون أمهاتهم .

٤ – قبيلة النايمان : من الأتراك الذين غلب عليهم الطابع المغولي يقطنون الحوض الأعلى لنهر أرخن ومنحدرات جبال التاي وحول البحيرات الواقعة في تلك المنطقة . يدينون بالمسيحية مثل قبيلة كرايت ؛ ولكنهم كانوا في نزاع معهم وقد أخذ النايمان مبادئ ثقافتهم من الأويغور جيرانهم في الجنوب ؛ وكان النايمان بدو رحل يقيم بعضهم في مناطق الجبال الوعرة ويقيم البعض في الصحاري . وكان للنايمان ملوك مشهورون وأقوياء ولهم جيوش عديدة وكانت تقاليدهم وعاداتهم تشبه عادات المغول . وفي قديم الزمان كان يطلق على ملوكهم اسم كوشلوك خان أو بويروق خان ، ومعنى كوشلوك ملك عظيم وقوي أما بويروق فمعناه معطي الأمر . ولكن مع هذا كان لكل ملك اسم أصلي آخر يختاره له أبواه .وفي عهد جنكيز خان كان ملكهم يسمى تايانك خان حاربه جنكيز خان عندما علم بسوء نيته وتأمره عليه .

٥ – قبائل أويرات أو أويراد : وهم من أصل مغولي إلا أن لغتهم تختلف قليلاً عن لغة القبائل المغولية الأخرى . وكانوا يقيمون في المنطقة الواقعة ما بين نهر أونن وبحيرة بايكال وكان عددهم كبيراً وتشعبوا إلى عدة شعب لكل شعب ملك يأتمرون بأمره ، ولما جاء جنكيز خان خالفوه بعض الشيء ولكنهم سرعان ما خضعوا له وقد صاهرهم جنكيز خان .

٦ – أتراك قرلق : تقع بلادهم جنوب مملكة الأويغور وتشمل كل الحوض الأسفل لنهر تاريم وكانوا في الشعر الفارسي باسم (خلخ) ويوصفون باستقامة القامة وجمال الوجه .

٧ – قبائل القرغيز : وهم من الأتراك ينزلون في أعالي نهر ينيسي وأتخذ أميرهم لقب خاقان في القرن الثامن الهجري على أنهم لم يشتهروا من الناحية السياسية إلا سنة ٢٢٦ هـ حينما أنتزعوا أراضي الأويغور في منغوليا وأمتدت بلادهم حتى المحيط ولم يلبث أن طردهم الخطا من منغوليا في أوائل القرن العاشر الميلادي بينما أحتفظ الجانب الأكبر منهم بمنازلهم في أعالي نهر ينيسي ولذا كان على الخطا أثناء مطاردتهم من منغوليا وسيرهم نحو الغرب أن يقاتلوا القرغيز الذين أحترفوا الزراعة ثم خضعوا للمغول زمن جنكيز خان سنة ٦١٥ هـ .

٨ – المغول : نشأت المغول الأصليين إذ إلتزمنا المعنى التاريخي الدقيق لهذه الكلمة والذين قدر لجنكيز خان أن يولد بينهم في الهضبة المعروفة باسم هضبة منغوليا شمال صحراء جوبي وهي تمتد من أواسط جنوبي سيبيريا وشمال التبت وغربي منشوريا وشرق تركستان بين جبال التاي غرباً وجبال خنجان شرقاً . ويمكن تقسيم منغوليا إلى قسمين ١ – قسم شمالي غربي مرتفع به جبال كثيرة توجد بينها هضاب ووديان تغطيها حصباء ٢ – قسم جنوبي شرقي منخفض يشمل صحراء جوبي أو شامو التي ليست إلا سهلاً متسعاً مسطحاً أو متموجاً ؛ تغطيه

طبقة من الحصباء شديدة الصلابة ؛ وفي هذه المنطقة كانت تعيش قبائل المغول مستقلاً بعضها عن بعض وتتقاتل فيما بينها ومع جيرانها وخاصة التتار ؛ وبين هذه القبائل كانت هناك طائفة صغيرة اسمها (قيات) وتعرف باسم (بورجقين) وهي التي نشأ فيها جنكيز خان مؤسس أعظم أمبراطور في العالم في ذلك الوقت .

ومناخ هذه المنطقة يمتاز بشتاء طويل قاسي البرودة تهطل فيه الأمطار وتنخفض فيه درجات الحرارة إلى ٥٨ تحت الصفر فتتجمد المياه فإذا حل الصيف القصير أشتدت الحرارة فتصل أحياناً إلى ٦٠ درجة فوق الصفر . فقسوة المناخ لا تقف عند هذا الحد فهناك الرياح الشديدة التي تهب معظم أيام السنة فتحمل الحصى وتتحول هذه الرياح إلى أعاصير عاتية لدرجة يصعب معها بقاء الرجل على سرجه فكان المناخ لا يثبت على حال حتى ولو كان في الصيف .

الحياة التي كان يحياها المغول في أوائل القرن ٦ هـ : -

تنقسم القبائل المغولية إلى : أ – قبائل رعاة : سكنوا جوار المراعي ب – قبائل صيادين : يصيدون السمك من الأنهار والحيوانات من الغابات .

ومارس المغول من قبائل الصيادين صور عدة من الصيد منها : أ – فئة تصيد السمك ب – فئة تسكن الغابات وتركب الزحافات من الخشب أو من العظم وتطارد الحيوانات ذوات الفراء كالسمور وتتجر بفرائها ٣ – فئة من رعاة الحيوانات تطارد الظباء بواسطة الحبال والنبال .

ومن الواقع الملاحظ على سكان المغول أنهم على حدود المغولية السيبيرية كانوا مقسمين بين منطقتين ١ – منطقة المراعي : التي صارت بعد ذلك صحاري ٢ – منطقة الغابات : في الشمال والجنوب ؛ ويرى بعض المؤرخين أن أصل المغول لا يثبت أنهم كانوا من جنساً من سكان المراعي ولكنهم كانوا شعباً يسكن الجبال المكسوة بالغابات والدليل : على أنهم كانوا من سكان المناطق الخشبية هو إستعمالهم الواسع لعربات اليد الخشبية .

ومن المعلومات أن القبائل التي تسكن مناطق السهوب هي قبائل رحالة بصفة خاصة تنتقل في فترات متتابعة طلباً للمراعي ، وخلال رحلاتهم كانوا ينصبون خيامهم المصنوعة من اللباد ، بينما القبائل التي تسكن الغابات تقطن أكواخاً مصنوعة من ألياف الأشجار . ولكن هذا التقسيم كان تقسيماً نظرياً فقط ، لأنه تبعاً لحياة القبائل التي تحيا حياة بدوية ، كانت أي قبيلة تستطيع أن تنتقل من لون لآخر من ألوان الحياة . فمثلاً جنكيز خان ينتسب إلى قبيلة من الرعاة غير أنه أضطر في شبابه بعد أن أغتصب منه أقاربه وعشيرته القطعان أن ينضم إلى أمه وإخوته في

حياة بائسة هي حياة صيادي الحيوانات وصيادي السمك وذلك قبل أن يتمكن من إعداد ثروته من الخيل والأغنام . ويلاحظ : بصفة عامة أن القبائل التي تقطن الغابات كانت تبدو أكثر بدائية وأكثر توحشاً وليس لهم علاقة بالحياة المتمدنة إلا عن طريق القبائل الرحل .

أما هؤلاء الرحالة فقد استفادوا من جوارهم للأويغور في منطقة جوبي أو من إمبراطورية كين في بكين ، ولم تكن لهم مدن ولكنهم أثناء ترحالهم كانوا يضربون مجموعات من الخيام المصنوعة من اللباد والمقامة على عربات ذات عجل لكي يسهل نقلها من مكان لآخر وأثناء تجمعهم في أماكنهم المؤقتة كانوا يضعون البذور لمدن المستقبل . ويسجل علماء الأجناس التقدم الذي حدث بالإنتقال من الكوخ الحقير للمغول سكان الغابات إلى كوخ من اللباد يسهل طيه وتركيبه عند الرحالة . هذا الكوخ هو عينه الذي تطور بعد ذلك في القرن ٧ هـ على يد كبار الخانات من أسرة جنكيز خان فصار شيئاً فشيئاً متسعاً مريحاً مغطى بالفراء والسجاد إلى أن تحول في النهاية إلى قصر منيف .

ويمكننا أن نقول أن بيئةالأقاليم الشرقية من آسيا قد فرضت على طوائف الأتراك والمغول أن يعيشوا عيشة بدوية كلها نزاع وصراع بسبب البقاء وكانوا لا يؤمنون بدين ولا شريعة ولا يعرفون حلالاً ولا حراماً وقد استلزمت هذه الحياة كثرة الهجرة والإنتقال من مكان لآخر جرياً وراء المراعي والأعشاب حيث يطيب لهؤلاء الناس العيش وتتوفر لهم موارد الرزق وكان المغول من هذه القبائل لا يدركون معنى الحضارة ولا يفقهون معنى الإستقرار وإنما يقضون حياتهم في التنازع والتنافس ولا منطق لهم إلا القوة ولا حكم لهم إلا السيف .

عوامل الهجرة والإنتقال عند المغول : - ١ – تحدث الهجرة بسبب جدب وقحط يصيب الموطن الذي تسكنه هذه القبائل ٢ – قد يزدحم إقليم بساكنيه فلا يعود يقوى على إحتمال هذا العدد الكبير فيضطرون إلى البحث عن مكان آخر ٣ – قد تكون العوامل السياسية في إقليم ما سبباً في هجرة بعض القبائل من مكان لآخر كأن يغتصب مغتصب أملاك دولة أخرى فينتقلون إلى مكان أكثر أمناً . ولا بد أن تتوفر في المكان المهاجر إليه الثروة ووفرة العيش أو يكون ذا تاريخ وحضارة تبهر أبصار المهاجرين . والواقع أنه لو أقتصر تاريخ الجموع التركية والمغولية على ما يشنونه من غارات وما يحدث أثناء إنتقالهم وهجراتهم من منازعات وهجمات لما حوى إلا شيئاً قليلاً فالحقيقة الأساسية في تاريخ البشرية هي : ما كانت تمارسه هذه الأقوام البدوية من ضغط على الإمبراطوريات المتمدنة الواقعة على الجنوب منها فهذا الضغط تطور من إعتداءات إنتقامية إلى غارات للفتح والتوسع ذلك أن هبوط الرعاة من منازلهم وإرتحالهم

كان قاعدة تكاد تكون طبيعية أملتها حياة الإستبس ؛ ولا شك أن أولئك الترك المغول الذين أقاموافي منطقة الغابات حول بحيرة بايكال ونهر عامور ظلوا متبربرين يعيشون على الصيد في الغابات وصيد السمك من الأنهار والغدران حتى زمن جنكيز خان . وهؤلاء القبائل الرحل من أهالي الإستبس كانوا يدخلون الرعب في النفوس وهكذا نجد أن حياة القبائل التركية المغولية أستدعت ضرورة الإغارة على الممالك المتمدنة في الصين وما وراء النهر وإيران ورغم الضربات الشديدة التي كان ينزلها حكام هذه الممالك بهؤلاء المتبربرين من وقت لآخر فإنهم كانوا لا يكفون عن الإغارة عليها وإنزال كثير من الخسائر والمحن والبلايا بها وبسبب هذه الغارات أقام حكام الصين سور الصين العظيم الذي شيده أهل الجنوب في العصور الأولى من التاريخ قبل الميلاد بنحو قرنين ونصف لمنع غارات القبائل المتبربرة في الأقاليم الشمالية الشرقية من قارة آسيا . ومن الملاحظ كما ذكر المؤرخ رشيد الدين : أن مجموع أقوام الأتراك والمغول لم يكن لهم مطلقاً ملك قاهر جبار يستطيع أن يحكم هذه الطوائف فكان أفرادها يتنازعون ويتصارعون ويحارب بعضهم بعضا بالرغم من أنه كان لكل قبيلة ملك أو أمير فإن أفراد هذه القبيلة كانوا لا يخضعون له ولا يأتمرون بأمره .

ولما كان أهل الخطا مجاورين لهذه القبائل يتعرضون من آن لآخر لغاراتهم كانوا يعيشون دائماً في رعب منهم ويبذلونالجهود والإحتياطات ما يدرأون به شرهم فأقاموا سداً مثل سد الإسكندر يفصل بين ولاية الخطا وبين تلك الأقوام . كذلك كان الصراع محتدماً بين افراد كل قبيلة تقوم بينهم المنازعات لأتفه الأسباب ويتنافسون على موارد الرزق والقليل من العشب أو من الصيد . وقد أتخذوا أيضاً من الغارات والسلب وسيلة أخرى لمعيشتهم فكانوا يغيرون على قبيلة معادية ويغتصبون ما لديها ، وكانت القبيلة الضعيفة تحتمي بالقبيلة القوية وهذا النمط من الحياة لا شك يرجع إلى طبيعة البيئة المجدبة القاسية . وهذه الحالة من الفوضى الاجتماعية والسياسية كان لا بد أن تتمخض في النهاية عن وجود شخصية قوية توحد شتات هذه القبائل وتكون لهم دولة واحدة وتمثلت هذه الشخصية في شاب مغولي اسمه تموجين (جنكيز خان) الذي هز بغزواته أركان الدول فيما بين الصين شرقاً والبحر الإدرياتي غرباً في النصف الأول من القرن ٧ هـ .

ظهور جنكيز خان : اسمه تموجين ولد في منغوليا على الضفة اليمنى لنهر أرنون يسمى والده يسوكاي بهادر وكان رئيساً لقبيلة قيات وكان أجداده والقبائل الخاضعين لهم يدفعون الخراج لأباطرة الصين الشمالية وحاول ملوك الصين إخضاع والد تموجين والقضاء عليه لكنهم لم يستطيعوا . تزوج يسوكاي بهادر من نساء كثيرات أشهرهن أم تموجين وتسمى ألون فوجين

وأنجبت أربعة أولاد مشهورين ولم تنجب بنات قط وهم : ١ – تموجين : أول أولاد يسوكاي وأكبرهم وأفضلهم صار ملكاً على المغول لما بلغ (٥١ سنة) وقتل ملك النايمان ولقب بـ جنكيز خان ٢ – جوجي قسار : كان يتمتع بقوة هائلة يقال أنه إذا أمسك شخص بكلتا يديه لا يتركه إلا وقد قصم ظهره وكان أكثر الأوقات متفقاً مع أخيه جنكيز خان ومتحداً معه ولكنه أنفصل عنه عندما حارب (أونك خان) وأنعزل عنه فترة وكان يعتبر إنعزاله من أخطائه ، ولكنه عاد وحارب معه عدوه (تايانك خان) إذ أمره تموجين على قلب الجيش فأبدى شجاعة فائقة فرفع جنكيز خان قدره على سائر اخوته وأبناء اخوته ٣ – قاجيون : نال منزلة كبيرة لدى أبناء جنكيز خان وكانوا يستشيرونه في مهام الأمور ٤ – تمواتجكن : تزوج بسيدة تمت بصلة قربى لأم جنكيز خان لهذا نال منزلة كبيرة وكان معظماً محترماً بين أفراد أسرته أشتهر بين المغول بميله الشديد للعمارة والتشييد . وكان هناك ابن خامس ليسو كاي كان ملازماً لأخيه جنكيز خان .

ولادته : تذكر الروايات أن ولادته كانت عندما سار ابوه يسوكاي لمحاربة التتار وأنتصر عليهم وقتل ملكهم تموجين وعندما عاد عرف أنه ولد له ولد فسماه تموجين تفائلاً ويقال أنه ولد وفي إحدي يديه قطعة متجمدة من الدم فستدلوا على ذلك جرؤته في سفك الدماء . توفى والده يسوكاي وعمره (١٣ سنة) فأنفض أكثر أقاربه وأتباعه ورموه بالضعف وأنضم المنفصلين إلى قبائل التانجوت . بقى تموجين وحيداً مع أمه وإخوته فأنحدرت حياته إلى البؤس والعيش على صيد الحيوانات والسمك ويشترك في ذلك مع إخوته الصغار ويصطادوا السمور والفأر البري والثعلب الأسود يأكلون لحومها ويدخرون الأوتار والجلد ؛ وكان يبقى ٣ – ٤ أيام بدون طعام وأحياناً يقطع وريد فرسه ويشرب قليلاً من دمه ويسده ؛ وحدث أن سرق له عصفور وسمكة والمتهم أخ له من أمه فقتله بدون شفقة أو رحمة . ولأن تموجين هو الأكبر كان عليه أن يقرر ماذا يفعل فجلس إلى جوار المتقدة بين أحجار الموقد وبسط فروة جلد فرس أبيض حيث يجلس الخان وقرر أن يأخذ مكان الخان وأن تبقى الأسرة بقطعانها وممتلكاتها في موطنها حيث المراعي بجوار النهرين وأخبر أمه بذلك . ومعنى هذا أن تدافع الأسرة عن نفسها ضد الأعداء وتتابعت المصائب عليه من الحروب التي كان يخلص منها واستمر أتباعه ينفضون عنه ورحل شخص كبير يجله وتوسل إليه أن لا يتركه فلم يقبل . وخرجت أمه في نفر قليل مع ابنها يحاولون إجبار المنشقين على العودة ؛ فنشبت الحروب وكان مع تموجين شخص هرم يناصره فأصيب ومات فبكى عليه وتتابعت المحن والظروف القاسية عليه فصنعت منه رجلاً صلباً قاسياً

انتهت حياة البؤس بعد ان تزوج ابنة أحد رؤساء القنقرات وبدأ يلمع نجمه وعندما بلغ (١٧ سنة) أستطاع بذكائه إستقطاب كبار الشخصيات من قبيلته ويخضع المناوئين له حتى تمت له السيطرة عليهم ثم رأى في منامه أن يديه أمتدتا وكان يمسك سيفاً في كلتا يديه بحيث أن طرف أحدهما كان متصلاً بالمشرق والآخر بالمغرب فدل ذلك على أنه سيملك الشرق والغرب .

بداية الحروب : ١ – بدأ بالقبائل حوله فأخضع قبيلة التايجوت وسيطر على منطقة واسعة تمتد شمال صحراء جوبي حيث مضارب عدد كبير من قبائل التتار ثم أخضع سائر جيرانه من القبائل الأخرى . ٢ – إخضاع قبيلة كرايت من المغول : إمتازت هذه القبيلة بالقوة وكثرة العدد والعدة وكان ملكها يسمى (أونك خان) ويدين بالمسيحية وكان صديقاً ليسوكاي واستمر يعطف على تموجين ولكن حسده أخوة وأقارب الملك ووشوا بينه وبين تموجين لذا حاول القضاء عليه سراً بأن رأى الملك أن يهاجمه سحراً فهرب غلامين من عند الملك وأبلغوا تموجين فأستعد له وقتله وغنم غنائم كثيرة ورفع قدر الغلامين . وقد أوقعت هزيمة وقتل (أونك خان) الرعب في نفوس الجميع فأسرعت القبائل المترددة إلى الخضوع له . ٣ – قبائل الأويرات : أرسل لهم رسل يطلب منهم الدخول في طاعته فقبلوا فخصهم بالإنعام . ٤ – قبيلة النايمان : ملكهم يسمى (تايانك خان) أحس أن الدور عليه فأستنجد بملك قبيلة الإنكوت وطلب أن ينضم إليه في حربه فأعلم تموجين فجمع تايانك خان جيشاً كبيراً ولكنه هزم وقتل وأسرت زوجته فتزوجها جنكيز خان . ٥ – شرع جنكيز خان في تالب القبائل على بعضها ويتحالف مع القوية ضد الضعيفة وبهذا أستطاع التغلب على أقوام المغول النازلين في منطقة التبت وشرقي تركستان وبعدها أقيم حفل كبير ولقبوه بجنكيز خان ومعناه أعظم الحكام أو إمبراطور البشر سنة ٦٠٠ هـ وهي تعتبر بداية دولة جنكيز خان وأصدر قانونه الشهير الياسا سنة ٦٠٣ هـ .٦ – دخول الأيغوريين في طاعته : الأيغوريين أكثر الأقوام التركية تمدناً وواسطة الإرتباط بين الأقوام المتمدنة من الإيرانيين والصينيين والهنود ؛ عرفوا الديانة المانوية والبوذية والمسيحية ، فاول دين اعتنقه الترك بوصفهم شعب هو المانوية وقبلها الشامانية فالمانوية دين ذو أسس أخلاقية يعتنقه الترك فيما الشامانية ترى أن قتل الإنسان يفيد يوم القيامة والديانة المانوية لا تكتفي بتحريم قتل الإنسان بل تحرم أكل الحيوان .

الأويغوريون : سكنوا المناطق شمال شرقي تركستان وشمال نهر تاريم ومنذ أواسط القرن الثاني الهجري أرتفع شأنهم وأستولوا على شمال منغوليا وحاربهم القرغيز وردوهم إلى حدودهم الأولى . وعندما تغلب القراخطائيون على بلاد ما وراء النهر وتركستان دخل الإويغوريون في طاعتهم وعلى رأسهم ملكهم (أيدي قوت) وأتبع القراخطائيون الظلم في

معاملتهم وعندما علم الإويغوريون بإنتصارات جنكيز خان أعلنوا الثورة وراسلوا جنكيز خان وقدموا له الهدايا ومنذ ذلك الوقت صاروا من أتباعه . ونتيجة من اختلاط المغول بالإويغوريين شاع الخط الإويغوري وصاروا يدونون سجلاته به ٧ – سيطرة جنكيز خان على مناطق الصين الشمالية : كانت طوائف الأتراك والمغول ينقسمون إلى قبائل متعددة وعند ظهور جنكيز خان كان بعضها تابعاً ١ – لأسرة كين المسيطرين على شمال الصين بالإضافة إلى أملاكهم الأصلية في منشوريا ٢ – قبائل تقطن الجهات الشرقية خاضعة لملك قبيلة كرايت ٣ – قبائل غرب منغوليا تخضع لكورخان ملك القراخطائيين . وبعد إخضاع هذه القبائل المغولية وكون حكومة واحدة أتجه إلى حكام إمبراطورية كين في الصين الشمالية لأسباب منها : ١ – كانوا لا يكفون عن تحريض القبائل بعضها على بعض ليظلوا سادة الموقف ويأمنون شر غاراتهم عليهم ٢ – وضع حد لتدخل أسرة كين في شئون القبائل ٣ – ما لقيه آباؤه وأجداده من معاملة سيئة من حكام الصين ٤ – معرفة أوضاع الصين الداخلية وما فيها من حضارة وغنى وثروة .

خطة الحرب : أ – أستعد لحرب طويلة ب – حشد معظم جيوشه ج – رأس الجيش ومعه أصغر أبناؤه د – الجيش الثاني بقيادة أبناؤه (جوجي وجغتاي وأوكتاي) وسار نحو الجنوب هـ - الجيش الثالث بقيادة إخوته أتجه إلى الشرق المحيط . بدأت فتوحاته بيسر وسهوله أولاً ثم أضطر إلى التوقف عند مرتفعات شانتونج عندما شعر بالإعياء والتعب نتيجة المقاونة من الصينيين ومن أسباب التوقف أيضاً ضرورة العودة إلى منغوليا ؛ فعرض الصلح على إمبراطور الصين ومن ضمن هذه الشروط فيها الإستعلاء ١ – كل البلاد التي يملكها إمبراطور الصين في شانتونج وشمال النهر الأصفرملك لجنكيز خان ما عدا بكين ٢ – ضعف إمبراطور الصين وقوة جنكيز خان ٣ – حبه للتوقف عن القتال ٤ – الشرط المهم بذل إمبراطور الصين الضيافات والهبات لقادة ورجال جنكيز خان . موافق إمبراطور الصين على الصلح ويسمى (واي وانج) حرج موقفه فأرسل الهدايا وبعث أميرة صينية من أسرته لتكون زوجة لجنكيز خان . ولكن عدل الإمبراطور عن الصلح لعدم إطمئنانه إلى المغول فلم يكد يجتاز جنكيز خان السور العظيم حتى نقل الإمبراطور عاصمته من بكين إلى (كاي فونج) في الجنوب لكي لا يكون قريباً من الحدود المغولية وترك لابنه مهمة الدفاع عن بكين ثم أستبدله بأحد قواده فحدث الإنقسام في صفوف الجيش الصيني وأستغل جنكيز خان الفرصة وألتحم مع الصين في معركة فاصلة سقطت على إثرها بكين في يد المغول . النتيجة : ١ – غنم المغول غنائم كثيرة وأستولوا على مزيد من الكنوز والنفائس التي كان لها أثر في ترقية حياة المغول فأصبحوا يصنعون خيامهم من الحرير ويرصعون سيوفهم بالجواهر ٢ – أخذوا عن الصينيين استعمال البارود ٣

– أحدث إستيلاء المغول على الصين دوي هائل في الممالك الإسلامية فزادت هيبة جنكيز خان في نفوس الجميع .

العودة إلى منغوليا والإستعداد لتعقب أعدائه الهاربين : بعد رحيله عن الصين إستعادة أسرة كين الكثير من املاكها وأستمرت إمبراطوريتهم إلى أن قضى عليها نهائياً أوكتاي ابن جنكيز خان (قضاء جنكيز خان على كوجلك خان ومجاورته لأملاك الدولة الخوارزمية) : بعد أن هزم جنكيز خان قبائل النايمان وقضى على ملكهم تايانك خان فر ابنه كوجلك خان مع جمع كثير من أتباعه وتعرض لكثير من المتاعب وتفرق عنه الجميع ثم أعتقله جنود القراخطائيين وحملوه إلى ملكهم كورخان وفي رواية أُخرى قدم كوجلك بنفسه إلى ملك ملك القراخطائيين كورخان وبقى محتزجاً عنده فترة . وكان وقتها السلطان علاء الدين محمد خوارزمشاه تابعاً لكور خان ملك القراخطائيين فرفض دفع الجزية وهنا أنتهز كوجلك خان الفرصة فأقنعه أن في مقدوره جمع أتباعه وتكوين جيش كبير ويقف إلى جانبه ضد خوارزم شاه وتعهد له أن يظل وفياً له فأنطلت حيلته على ملك القراخطائيين ومنحه الهدايا وسمح له بتنفيذ خطته . وجمع كوجلك خان أتباعه وأنضم له حاكم المركيت الذي فر هو الآخر من أمام جنكيز خان كما انتهز كوجلك خان فرصة العداء بين الخوارزميين والقراخطائيين وأتفق مع السلطان خوارزم شاه على إزالة دولة الخطا وإقتسام أملاكها بينهما فوافق على التدخل بسبب : رجحان كفة كوجلك خان فناصره وأنتصر على ملك الخطا وأسره وسجنه إلى ان توفى بعد سنتين في سجنه وتزوج كوجلك خان زوجة كورخان ملك الخطا ؛ وهذه أستطاعت أن تقنع زوجها بترك دينه المسيحي وإعتناق البوذية التي تدين بها . فلما رأى خوارزم شاه ما حل بالقراخطائيين قضى على البقية من الخطائيين فشارك بذلك في تحطيم دولتهم .

وبعد هزيمة القراخطائيين أخذ كوجلك خان يوسع دولته فأخضع الكثير من القبائل المجاورة ومد سلكانه إلى بلاد التبت حتى حدود الدولة الخوارزمية ونجح في تأسيس دولة قوية على حدود البلاد الإسلامية . وحدث بعدها أن تمرد سكان كاشغر وبلاد القراخطائيين على كوجلك خان فأرسل جيوشه وقت الحصاد فأستولى عليه وأحرقوا ونهبوا وعاثوا في الأرض فساداً فعمت المجاعة ونقصت الأقوات فأغدق كوجلك خان على السكان البوزيين دون غيرهم فمارس الظلم ولم يستطع أحد ردعه . ثم توجه كوجلك خان إلى منطقة ختن وأخضعها بقسوة وسام أهلها العذاب وأجبر المسلمين على الإرتداد عن دينهم وإعتناق إحدى الديانتين المسيحية أو البوذية فإن لم يفعلوا يتزيوا بزي القراخطائيين فرضوا بالحل الأخير ونتيجة ذلك أنقطع الآذان فهذا أول إضطهاد ديني لاقاه المسلمين في آسيا الوسطى . بل أجبر الأئمة ورجال الدين من

المسلمين على الخروج إلى الصحراء للمناظرة ولجهلهم كان يسفه آرائهم ويحقر الإسلام فتصدى له الإمام محمد الختني فصلبه على باب إحدى المدارس في ختن . ووقتها كان جنكيز خان عالماً بما يحدث ، كما أنه لن يسمح بأن يتقوى كوجلك خان أكثر كي لا يعود ليأخذ بثأر والده تايانك خان ، لذا بعد ان عاد من الصين أرسل له جيشاً بقيادة أحد قواده المشهورين وهو (جبه نويان) فأستولى على كاشغر وفر كوجلك خان ولم يواجه المغول في أي معركة . أما القائد جبه نويان فإنه أطلق الحريات الدينية للجميع وتنفس المسلمين الصعداء وأستقبل المغول كمحررين لهذه البلاد . ثم قصد كوجلك خان بدخشان فأعتقله الصيادين وسلموه للمغول ثم أستمر القتل في كل من وجدوه من النايمان . أما توق تغان الفار من أمام جنكيز خان فإنه تعقبه جوجي ابن جنكيز خان وقتله هو وأتباعه . وبهذا الإنتصار تمت سيطرة المغول على جميع القبائل التركية الخاضعة للقراخطائيين وأراضيهم وأصبحوا بذلك يجاورون أملاك الخوارزميين ؛ وأراد جنكيز خان أن تكون له علاقة طيبة مع خوارزم شاه ولكنها ساءت فسير الجيوش إليه .

الشرق الإسلامي أبان غزو المغول : - كان الشرق الإسلامي في حالة شديدة من الضعف والتخاذل يسود فيه الفتن والدسائس والعديد من المذاهب ويسيطر عليه حكام متنازعون يؤثرون مصالحهم الشخصية على مصالح أوطانهم وأهم هذه الدول : إيران – العراق – الشام – مصر ١ – إيران : يحكمها الدولة الخوارزمية مؤسسها (نوشتكين) الذي تقلب في المناصب في عهد السلاجقة إلى أن أصبح حاكم إقليم خُراسان وتلقب بلقب خوارزم شاه سنة ٤٩٠ هـ وعمل خلفاء نوشتكين من بعده على الإستقلال عن الدولة السلجوقية عندما شعروا بضعفها بل القضاء عليها وبعد وفاة السلطان سنجر السلجوقي سنة ٥٥٢ هـ دخلت ممتلكات السلاجقة في فارس وخُراسان في حكم الخوارزميين . ونصب السلطان (تكش) سنة ٥٦٨ هـ سلطاناً على الخوارزميين ثم سنحت له الفرصة لضم أراضي إلى سيطرته عند محاولة السلطان طغرل الثالث آخر السلاطين السلاجقة في العراق إستعادة سلطته على حساب الخليفة العباسي الناصر لدين الله فأستنجد الخليفة بتكش فضى على السلاجقة ولكنه أراد أخذ مكانة السلاجقة وطالب بذكر اسمه في الخطبة وهذا يتعارض مع رغبات الخليفة العباسي؛ لذا حرض عليه حكام البلاد المجاورة ومنهم الغوريون ومعنى ذلك أصبح تكش عدو الخليفة والجماعة السنية ؛ عندها هادن الخليفة وترك تحقيق الأهداف لابنه ؛ ثم توجه إلى تقوية علاقته بالقراخطائيين وعمل على المحافظة على دولتهم الواقعة شرق بلاده وتعهد لهم بدفع جزية سنوية معينة بل أوصى ابنه بإتباع هذه السياسة لماذا ؟ لأنها تعتبر دولة حاجزة بينه وبين القبائل الهمجية في الشرق ؛ وأتسعت أملاك الخوارزميين على حساب المجاوريين وبلغت أقصى إتساعها في عهد السلطان علاء الدين

محمد خوارزم شاه . ومحمد هذا هو الذي عاصر جنكيز خان وكان شخصاً طموحاً شرهاً تقوم سياسته مع الأمم الإسلامية المجاورة على الشقاق والنزاع ومحاولة ضمها . ومنها الدولة الغورية :

السلطان محمد خوارزم شاه والدولة الغورية : - في عهده كان سلاطين الغوريين يحكمون قسماً من افغانستان حالياً وغرب الهند ومن المعاصرين له الأخوين غياث الدين وشهاب الدين كانا يسيطران علىهراة وغزنين وبلخ وكابل وسجستان وكرمان وتغلبا على القسم الواقع شرقي خُراسان ، وقد ظن الأخوين أن خوارزم شاه ضعيف لا يمكنه مقاومتهما فأخذا يغيران على منطقة خُراسان وأستوليا على بعض المدن وساموا أهلها سوء العذاب فصمم خوارزم شاه على محاربة الغوريين وطردهم وساعده على ذلك موت أحد الأخوين وهو غياث الدين الذي عرف بالشجاعة والدهاء وأستطاع إستعادة أملاكه في خُراسان . وكان شهاب الدين غائباً في الهند فعاد وقصد إقليم خوارزم على رأس جيشٍ كبير وحاصر العاصمة جرجانية وقاومه اهلها وأستنجد خوارزم شاه بالقراخطائيين وعثمان خان سلطان سمرقند فنهزم الغوريون ولحقهم وعاد إلى عاصمته للإحتفال . أما القراخطائيين فأستمروا في زحفهم وهزموا شهاب الدين ولم ينجوا إلا بسبب تدخل السلطان عثمان سلطان سمرقند لأنه رفض أن يهلك سلطان مسلم على يد الكفار وعاد بعدها شهاب الدين إلى الهند وقتل وأقتسم الأمراء أملاكه .

السلطان محمد خوارزم شاه والقراخطائيين : - كانت العلاقة بين الخوارزميين والقراخطائيين تقوم على دفع جزية ومهادنة ولكن خوارزم شاه رأى أن هذا يحط من قدره خضوعه لسلطان بوذي وشجعه على ذلك رسائل التحريض من عثمان سلطان سمرقند فأمتنع عن دفع الجزية ثلاث سنوات ومعنى ذلك نشوب الحرب وشجعه أكثر إرسال كوجلك خان ملك النايمان يحرضه على مهاجمتهم من ناحية وهو من ناحية وانتهى الأمر بإزالة هذه الدولة سنة ٦٠٧ هـ . نتيجة سقوط دولة القراخطائيين : - كان ذلك خطأ فاحشاً لأنهم كانوا سداً حاجزاً بين بلاد المسلمين والكفار بمن فيهم المغول وأصبح السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه عاجزاً عن حماية البلاد فلما أغار التتار لم يصدهم شيء .

السلطان علاء الدين محمد خوارزم شاه والخليفة العباسي : - كان الخليفة العباسي الناصر لدين الله في دولته بالعراق ضعيفاً سياسياً منحصراً في العراق العربي وخوزستان ، ليس له إلا النفوذ الروحي وظن الخليفة أنه يستطيع بسط نفوذه عندما شعر بضعف السلاجقة فأستعان بالخوارزميين ولكنهم لا يقلون خطراً عن السلاجقة ؛ وخطرهم تمثل في عهد السلطان علاء

الدين محمد خوارزم شاه ؛ فقد حاول بالطرق الودية فلم ينفع وبدأ يستعمل القوة وصمم على غزو بغداد للأسباب الآتية : - ١ – رغب أن يأتمر الخليفة بأمره وتذكر الخطبة باسمه على منابر بغداد كما كان للسلاجقة والبويهيين . ٢ – شعر أن الخليفة يحتقره ويعامله معاملة سيئة فهو أهان رسله عندما قدم الهدايا له مع الحجاج وعامل رسل جلال الدين حسن الإسماعيلي من خلفاء الحسن الصباح وقدم هداياه عليه . ٣ – عندما أستولى على غزنة عاصمة الغوريين سنة ٦١١ هـ وجد رسائل رسمية من الخليفة يحثه على مهاجمة خوارزم شاه والقضاء عليه . ٤ – ظهر لخوارزم شاه أن الخليفة مستمر في تحريك الممالك ضده وتدبير الدسائس ؛ فقد حرض القراخطائيين وأبدى إستعداده للتحالف معهم وأثار عليه أتابكية فارس واذربيجان وتحالف مع الإسماعيلية وأحتضن فدائيين ضد الخوارزميين ، فقتلوا (أغلمش) نائب الخوارزميين في عراق العجم . ٥ – رأى خوارزم شاه أن الخلفاء العباسيين تكاسلوا عن الغزو والجهاد وحماية الثغور وهي من واجبات ولي الأمر الذي كان عليه قمع أرباب البدع والضلالات . لذا رأى الخليفة الناصر لدين الله خطر يتهدد دولته وعليه يجب أن يزيحه وأتخذ الخطوات الآتية : -

١ – أعتنق المذهب الشيعي وصرح بأنه يريد إزالة الخلافة العباسية وإقامة خلافة علوية والهدف من ذلك (يكسب عمله صفة شرعية ؛ ويستميل أهالي تلك البلاد فأكثرهم يدين بالشيعية فيكون حافزاً لهم على الإنضمام إليه . ٢ – جمع الفقهاء وأئمة الدين في دولته وأجبرهم على إصدار فتوى مفادها أن العباسيين أغتصبوا الخلافة من العلويين أصحاب الحق الشرعي ، لذا يجب أن يختار رجل من نسل الحسين بن علي ، فالناصر أرتكب مخالفات توجب على كل مسلم مقاومته . ٣ – أصدر أمره بعزل بعزل الخليفة وأسقط أسمه من السكة والخطبة . ٤ – أختار رجل علوي من مدينة ترمذ اسمه علاء الملك فنادى به خليفة للمسلمين وخطب له على المنابر وضرب النقود باسمه . ٥ – قاد جيش قصد به بغداد سنة ٦١٤ هـ وقابله في عراق العجم الأتابك سعد بن زنكي بعد أن أطمعه الخليفة في بلاد خوارزم شاه فأنتصر عليه ودخل في طاعته ثم هزم أتابك أذربيجان بتحريض من الخليفة فهزمه ودخل في طاعته وضرب النقود باسمه وخطب له على المنابر وحمل له الهدايا . عند ذلك لما وجد الخليفة أن كل من أعتمد عليهم فشلوا في هزيمة خوارزم شاه وإصرار خوارزم شاه على غزو بغداد وهو لا يستطيع مقاومته عندها لجأ إلى جنكيز خان لينقذه من ورطته فهو السبب الذي أطمع التتار في البلاد الإسلامية . وسار خوارزم شاه إلى بغداد فقابله في همذان رسول الخليفة فرد عليه أنه قادم ليقيم خليفة . ثم واصل سيره إلى بغداد وكان الفصل خريفاً فلما وصل إلى أسعد آباد هبت عاصفة ثلجية فأهلك الثلج أكثر جنوده وعتاده ودوابه وتعرض الجنود الباقين لغارات الأتراك والأكراد

فتشتت الجيش ووجد خوارزم شاه نفسه مضطراً إلى العودة لبلاده بمن بقى معه من الجند .
النتيجة : ١ - انتشار إشاعة أو خرافة تقول أن ما حدث غضب من الله تعالى إنتقاماً من خوارزم شاه لتجرئه على الخليفة المؤيد من السماء وهذه الخرافة سرت على ألسنة بعض خواصه . ٢ – النزاع بين الخليفة وخوارزم شاه أستنزفقوى الدولتين فسهل على المغول إكتساحهما . ٣ – توالي الكوارث على خوارزم شاه وأهمها خطر المغول الذي يتهدده بالتدمير والفناء .

الإسماعيلية : - قامت دولتهم في إيران في الشمال الغربي من الدولة الخوارزمية . وسبب تسميتهم : لأن أتباعها كانوا ينادون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق ؛ لذا سموا بذلك وتميزوا عن بقية الشيعة بهذا الاسم ؛ وعرفوا أيضاً بالباطنية : لأنهم يبطنون خلاف ما يظهرون وقالوا : إن للشريعة باطن وظاهر والأصل هو الباطن فإذا كان الناس عالمين بباطن الشرع فلا خلل يحدث إذا إستهانوا بالظاهر ؛ أما عند خصومهم فاشتهروا بالملاحدة : لأنهم غيروا وبدلوا في أركان الدين ودعموا آرائهم بالأقوال التي أخذوها من فلاسفة اليونان كما أقتبسوا بعض المبادئ من مذاهب المجوس .وأطلق عليهم أيضاً لفظ الحشاشين أو الحشيشية : لأنهم كانوا يستعينون بالحشيش في الترويج لمذهبهم وفي حوادث الإغتيالات السياسية . وكان هناك دعاة أُول مهدوا لهذه الدعوة وأعطوها الطابع المميز الذي أختصت به طائفة الإسماعيلية .

رأى دعاة الإسماعيلية سوء الحالة الاقتصادية والاجتماعية في المشرق والتفاوت في توزيع الثروة فرؤوس الأموال مكدسة لذى فئة قليلة والعامة وأصحاب الحرف في فقر وفاقة فأستغلوا الفرصة وتكتلوا وأعلنوا الثورة على الحكام وأصحاب الثروة وأتصلوابأصحاب الحرف والصناعات وغيرهم وأستخدموهم أداة لدعوتهم بالإضافة إلى القبائل العربية في أطراف الشام والجزيرة الذين فقدوا آمالهم من نفوذ وسلطان في القرن ٩ هـ . وأتفق جميع طائفة الإسماعيلية على ان الزمان لا يخلو من إمام يمكن به معرفة الله ولا سبيل إلى معرفة الله بدونه وإليه أشارت الرسل وكانوا يعتقدون في المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً بعد ان ملئت جوراً .

الدولة الفاطمية والإسماعيلية : - تحقق غرض الإسماعيلية عندما قامت الدولة الفاطمية بشمال إفريقيا عام ٢٩٧ هـ وظهور الإمام المستتر وإنتقالها إلى القاهرة وإتساع أملاكها وتهديدها للعباسيين . وبعد قيام الدولة الفاطمية أخذوا يروجون للمذهب الشيعي في الشرق الإسلامي وهدفهم إضعاف الخلافة العباسية تمهيداً للقضاء عليها . وكان لمدارس الشيعة في القاهرة أثر فعال في نشر المذهب الإسماعيلي ؛ إذ نجح الحسن بن الصباح في تكوين قوة هائلة

عجز عن مقاومتها أقوى الحكام والسلاطين . وظل الفاطميين يتزعمون الحزب الإسماعيلي حتى عهد الخليفة المستنصر الفاطمي ، حيث دان الإسماعيلية له بالطاعة وأعترفوا بإمامته في الشرق والغرب ؛ وأوصى المستنصر أن يكون ابنه الأكبر نزار ولياً للعهد وبعد وفاة المستنصر خلع نزار وتولى أخوه المستعلي فأنقسم الإسماعيلية إلى فرقتين متعارضتين ١ – فرقة تناصر المستعلي وتمثل الفرع الغربي في مصر وسوريا وشمال إفريقيا ٢ – وفرقة تناصر نزار وتمثل الفرع الشرقي المنتشر في إيران ومد نفوذه إلى الشام وهذا الفرع الذي يضم الإسماعيلية بزعامة الحسن الصباح ويقال لهم النزارية وإليهم آلت زعامة الحركة الإسماعيلية في مختلف الأقطار الإسلامية بعد سقوط الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧ هـ . والمؤسس الحقيقي لهذه الفرقة الحسن بن الصباح في إيران أستولى على كثير من البلاد والقلاع المجاورة في قوهستان وأهمها قلعة ألموت عام ٤٨٣ هـ وأصبحت عاصمة الإسماعيلية وأستولى على المنطقة الواقعة جنوبي بحر قزوين بأكملها . أما أسباب تأسيس دولتهم فقد تم في عهد السلاجقة الأقوياء المتعصبين للمذهب السني وذلك بسبب : - ١ – يعتبر السلطان ألب أرسلان السلجوقي مسئولاً عن نجاح الدعوة الإسماعيلية لإلغائه نظام البريد الذي كان يزود الحكام بالاخبار ٢ – إستيلاء الحسن بن الصباح على قلعة ألموت خطوة في نجاح الدعوة الإسماعيلية في إيران وعجز السلطان ملكشاه عن إستيردادها مرات عديدة .٣ – صراع أفراد الأسرة السلجوقية على الحكم وإشتراك الأمراء والوزراء والولاة في ذلك . ٤ – إستغل أحمد بن عبد الملك بن عطاش رئيس الإسماعيلية في أصفهان فرصة النزاع على عرش الدولة السلجوقية بين بركياروق ابن السلطان ملكشاه وأخيه محمود فأستولى على قلعة شاهدر المشرفة على أصفهان عام ٤٨٧ هـ وأدى هذا غلى تهديد سلامة السلاجقة ؛ فجمع أحمد بن عبد الملك الأسلحة والأمتعة والغلمان وتحصن داخل القلعة وبنى بجوارها دار للدعوة وأخذ يدعو الناس للمذهب الإسماعيلي فستجاب له الكثير . لكن إنهارت جهود الإسماعيلية في أصفهان عندما هاجمهم محمد السلجوقي عام ٤٩٨ هـ وقضى عليهم وتوفى بعدها السلطان محمد السلجوقي وعاد الصراع بين السلاجقة على النفوذ وانتهى بإستعادة الإسماعيلية لنفوذهم . وقد عرف عن الإسماعيلية بانهم قوم محاربون أشداء بثوا الرعب في النفوس وعاثوا في الأرض فساداً وقاوموا سلاطين السلاجقة واهتزت بسببهم سلطتهم . أما الخلافة فقد كان العداء بينهم شديد وكذلك بين جميع المسلمين .

نظم وأساليب الإسماعيلية : - ١ – لهم جهاز رهيب وتنظيم سري يتكون من الشباب المغامرين الشجعان الممتلئين قوة وحماسة وتضحية في سبيل الدفاع عن عقيدتهم وكان هؤلاء يجيدون فن التخفي وساعدهم على ذلك طبيعة الدعوة التي تجري في سرية تامة . ٢ –

يختارون أعضاء الجهاز في سن مبكرة ويدربونهم تدريبات شاقة على إستعمال السلاح وأساليب القتال وطرق الإغتيال وسفك الدماء . ٣ – قاعدتهم إذا ظهر حاكم قوي في البلاد الإسلامية أسرعوا إلى إغتياله وهدفهم في ذلك بث الرعب في نفوس الجميع ونشر الإضطراب والفتن ومن أبرز من أغتالوه وزير السلاجقة نظام الملك ؛ وهددوا السلطان سنجر حتى لا يتعرض لهم فكف عنهم وقوى نفوذهم في عهده وكان يدفع لهم الجزية . ٤ – أستعمال حكام المسلمين الإسماعيلية للتخلص من خصومهم إذ أتهم السلطان مسعود بالتحالف معهم لقتل الخليفة المسترشد وابنه الراشد كما قتلوا نائب الخوارزميين في عراق العجم بإيعاز من الخليفة العباسي فحارب الخوارزميين الإسماعيلية فقد سببوا لهم المتاعب وبدأوا يتصلون بالمغول ويتقربون إليهم . ٥ – أنتهج الإسماعيلية سياسة التطرف والخروج على قواعد الدين إلى أن تولى أمرهم جلال الدين حسن فأظهر الإسلام وراسل الخليفة وحكام المسلمين وتسمى بجلال الدين نومسلمان أي المسلم الجديد ؛ ولكن سرعان ما عادوا لسيرتهم الأولى من التطرف والإباحية والإرهاب والإغتيال إلى أن قضى عليهم هولاكو عام ٦٥٤ هـ . وقد تسابق سلاطين السلاجقة من جهة والخلفاء من جهة لخطب ود الإسماعيلية وأستعانوا بهم للقضاء على خصومهم فهؤلاء وهؤلاء يعلمون أنهم ألد أعدائهم وأنهم يهدفون أولاً وأخيراً إلى القضاء عليهم والتحالف يتم لمصلحة الإسماعيلية أولاً وعلى حساب النظام والقانون والخلاق والخلاصة : كانوا عاملاً فعالاً لإضعاف المسلمين وعنصراً لزيادة التفرقة بين الدول الإسلامية الأمر الذي سهل على المغول مهمتهم .

الشام ومصر : يحكمها سلاطين الأيوبيين بعد وفاة صلاح الدين ؛ وهؤلاء كانوا منقسمين متنافسين وليس لديهم هدف علاوة على إنشغالهم في حرب الصليبيين . أما قبلهم فوجد صلاح الدين ذو الشخصية البارزة والقائد المحنك والسياسي البارع الذي رأى أنه لا بد من الوحدة لكي ينتصر على الصليبيين فأنتزع بيت المقدس من أيديهم لذا قضى ١٥ عاماً يوحد الأجزاء المتفرقة ، وبعد توحيد المنطقة من برقة غرباً إلى الفرات شرقاً ومن الموصل وحلب شمالاً إلى النوبة واليمن جنوباً . فأنتصر في موقعة حطين عام ٥٨٣ هـ فأسر وقتل الكثير وبعدها فتحت بيت المقدس ولكن بعد وفاته تفككت هذه الجبهة إذ تنازع البيت الأيوبي على تقسيم التركة بإعتبار أن المملكة إرثاً يقسم هذا من ناحية ومن ناحية أخرى آثر صلاح الدين أبناءه على أخيه العادل بالرغم من أنه أقدر على الحكم . فنجده يعين أخاه العادل على أطراف مبعثرة . فدب النزاع بين أبناء صلاح الدين فأنتهز العادل الفرصة ولم يتردد في فرض سلطانه على مصر وجانب من الشام ولم يمض على وفاة صلاح الدين سوى ٧ سنوات حل محل أولاد صلاح الدين في دولة واحدة واستخدم كل الوسائل لتحقيق هدفه فأوقع بين الأخوة وأستعان بالواحد ضد الآخر ،

وبالرغم من سيطرته إلا أن هناك أقسام أستقلت عن مصر وبعضها خضع اسمياً لها ، وكان الوضع مشرذماً وكان يستعين بعضهم بالصليبيين على إخوته . وطبيعي أن ينتهز الصليبيين الفرصة للإستيلاء على مصر لأنها القوة والبأس ولكن باءت محاولاتهم بالفشل .

أما الشام : فقد أستطاعوا أخذ أجزاء منه وينتزعوا بيت المقدس نتيجة التنافس بين الأيوبيين وعليه لم يكن وضع مصر والشام بأحسن حالاً من إيران والعراق إذ لحقها الضعف والإنقسام وهذا أثر على مقاومتهم للصليبيين ، فلما شن المغول حملاتهم على المشرق الإسلامي وقفوا عاجزين عن مد يد العون وغير مهتمين ومنتظرين ما سيحل بهم .

أما آسيا الصغرى فكان فيها دولة سلاجقة الروم ومؤسسها سليمان بن قطلمش بن أرسلان سنة ٤٧٠ هـ وهي أول دولة إسلامية تصطدم بالحملة الصليبية الأولى فنقلت عاصمتها من نيقة إلى قونية بعد أن سقطت في يد الصليبيين عام ٤٩١ هـ . وبالرغم من ذلك ظلت تلعب دوراً هاماً في مصير الصليبيين بل أستفادت مما كان بين البيزنطيين والصليبيين فحافظوا على كيانهم حتى أواسط القرن ٧ هـ . وأيضاً كان حكامها في نزاع مستمر مع غيرهم من سلاطين المسلمين وكان لهم منافسون من الروم أو البيزنطيين في الأناضول .

الخلاصة : إن أهم الدول الموجودة في المشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي وهم في شقاق ونزاع وطبيعي أن يكونوا مهددين بهجوم المغيرين فليس هناك ملك يوحدهم . وأقوى الدول الإسلامية الدولة الخوارزمية وقوتها ظاهرياً ولكن كانت تحمل عوامل الضعف منها : -

١ – طبقة العسكريين وعلى رأسهم والدة السلطان خوارزم شاه تركان خاتون تناصب ابنها العداء الصريح وتتدخل في كل صغيرة وكبيرة . ٢ – طبقة رجال الدين لم يغفروا للسلطان خوارزم شاه مقتل أحد كبار رجال الصوفية . ٣ – إرغام السلطان لرجال الدين أخذ فتوى ضد الخليفة . ٤ – تنوع الشعب فلم يعتمد السلطان على عنصر واحد للحكم . ٥ – الشعوب التي حررها خوارزم شاه من حكم الكفار ثاروا عليه لسوء تصرف جنده ولم يخضعهم إلا بإراقة الدماء مما أوغر الصدور عليه . والنتيجة الطبيعية فرقة بين المسلمين وإتحاد بين القبائل البربرية البدو تحت قيادة جنكيز خان أعظم القواد قدرة على التنظيم .

تطور العلاقات بين الدولة الخوارزمية والمغول قبل هجوم جنكيز خان : - بداية تطور العلاقات : ١ - أصبحت أملاك الدولة الخوارزمية مجاورة لقوات جنكيز خان وذلك بعد القضاء على كوجلك خان سنة ٦١٥ هـ ولكن قبل ذلك بثلاث سنوات حدثت مناوشات حربية بينه وبين المغول في عام ٦١٢ هـ ترك السلطان خوارزم شاه مدينة جند بالقرب من نهر

سيحون وسار شمالاً بجنده ليحارب المركيت الفارين من منغوليا من بطش جنكيز خان ونزلوا القبجاق حيث كانوا يعيشون في وادي القرغيز ، وفي نفس الوقت سارت جيوش جوجي ابن جنكيز خان تتعقبهم أيضاً للقضاء عليهم فلما علم السلطان عاد إلى سمرقند وجمع باقي قواته وعاد وفي نيته القضاء على المغول والمركيت سوياً . ٢ – كان المغول أسرع في القضاء على المركيت فصمم خوارزم شاه على محاربة المغول ولكن المغول لم يكونوا مأمورين بمحاربة المسلمين فأرسلوا رسالة إلى خوارزم شاه بأنهم قدموا فقط لمحاربة الثوار ، ولكن خوارزم شاه أغتر بقواته وأجابهم إن جميع الكفار في نظره سواء ويعتبرون أعداء المسلمين ، وأشتبك معهم في معركة كانت نتيجتها غير حاسمة وكان الجناح الأيمن لجيش السلطان تحت قيادة ابنه جلال الدين منكبرتي فأنقذ الجيش من الهزيمة وتوقف القتال على أن يعاودا في اليوم التالي ولكن أنسحب المغول في الليل بدون علم المسلمين بحيث تركوا نيران معسكرهم مشتعلة وعندما طلع الصباح علموا أنهم رحلوا . ٣ – هذه أول واقعة دارت بين الطرفين وعرفت السلطان مقدرة المغول القتالية وادت إلى ترك إنطباع نفسي له إذ بعد ذلك لم يشتبك معهم في معركة وكان يتقهقر أمامهم بغير نظام . ٤ – عد الفريقين هذه الحادثة خطأ كما أن جنكيز خان لم يشأ أن يجاهر السلطان بالعداء بل حرص أول الأمر على مسالمته ويهدف إلى عقد معاهدة تجارية ويتبادل الرسل والسفراء معه . ٥ – وصل إلى مسمع السلطان إنتصارات جنكيز خان في بلاد الأويغور والتبت والصين وإستيلاؤه على بكين فحزن وأراد التحقق من صحة الأخبار ويطلع على مدى إستعداد جيوش المغول . فأرسل سفارة إلى الصين على رأسها بهاء الدين الرازي الذي شاهد الخراب والدمار والمذابح الرهيبة والنهب والسلب وهو في طريقه إلى الصين ؛ فمما شاهده : أ – عند إقترابهم من عاصمة التون خان وهو لقب لملوك الصين أسرة كين شاهدوا أكمة عالية بيضاء ظنوها جبلاً مكسو بالجليد فسألوا الأهالي فأخبروهم أنها عظام الناس الذين قتلهم المغول . ب – شاهدوا بعدها أرضاً لزجة سوداء بسبب الدماء ج – شاهدوا بعدها أرضاً طغاج عاصمة التون خان شاهدوا أسفل برج القلعة عظاماً كثيرة وأخبرهم الأهالي أن المدينة عندما سقطت رمى المحاصرون عشرين ألف فتاة عذراء بغية قتلهم حتى لا يقعن أسرى في يد المغول وهذه عظامهن . ٦ – وصل رسل السلطان إلى جنكيز خان وأكرمهم وأستقبلهم بالحفاوة وأرسل معهم رسالة للسلطان مفادها : أ – إن جنكيز خان ملك المشرق والسلطان ملك المغرب ب – يريد جنكيز خان علاقة صلح ووفاق وتستمر قوافل التجار تسير بينهما بحرية وأمان فالتجارة مهمة لهذه القبائل لنتقل الحبوب خاصة بعد دمار الصين . ٧ – أوفد جنكيز خان ثلاثة من التجار المسلمين للسلطان وحملهم هدايا ثمينة ووصل الرسل إلى بخارى بعد عودة السلطان من حملته الفاشلة على بغداد وحملهم رسالة له ؛ وعندما قرأها غضب لأنه أحس أن فيها معاني

التهديد والوعيد والإهانة لأنه أعتبره بمنزلة الابن ومعناه التبعية له وليس المساواة ؛ كما أن هذه الرسالة شكلت صدمة لسياسة السلطان الخارجية القائمة على أنه مسموع الكلمة مرهوب الجانب غير مطموع فيه وأصبح الآن مهدداً . وبعد ان سكت غضب السلطان أستدعى أحد السفراء الثلاثة وقرره عما وصل إليه جنكيز خان وللتخلص من حنقه لاطفه السفير في الكلام عندها عقد السلطان المعاهدة التجارية ، وكان سبب عقدها : أ – تأكد السلطان من قوة جنكيز خان بعد قضاءه على القبائل ب – منح جنكيز خان الحرية الدينية للمسلمين بعد قضائه على كوجلك خان وهذا موقف شديد عليه إذ يعتبر نفسه حامي المسلمين .

بعد هذه المعاهدة عمل جنكيز خان على تأمين التجارة بين شرق آسيا وغربها وتوسيع نطاقها وإخضاع القبائل التي كانت تقطع الطريق على التجار وتسلبهم وزود الطرق بحراس يسمون قراقجية أي مستحفظين وأصدر أمره بحراسة التجار الأجانب ومرافقتهم سالمين إلى معسكرات المغول . وحدث أن قدم ثلاثة تجار خوارزميين من سكان بخارى إلى ممالك المغول وكانوا يحملون بضائع ثمينة فاخذوهم المغول إلى جنكيز خان الذي أكرمهم وأمر كل أمير مغولي أو قائد من قواده بتكوين قافلة تذهب معهم ووصول عدد أفراد القافلة ٤٥٠ شخصاً وأرسل معهم رسالة أن هؤلاء التجار وصلوا إلينا سالمين وأعدناهم سالمين ومعهم جماعة من عندنا يجب أن يعودوا سالمين حتى يتحقق الوفاق . ثم وصلت القافلة إلى مدينة أترار على الساحل الغربي لنهر سيحون وهي أول بلدة تقع في منطقة نفوذ السلطان ولها أهمية تجارية فهي ملتقى التجارة بين الشرق آسيا وغربها بالإضافة إلى أنها تعتبر مفتاح لإقليم ما وراء النهر .

كان يحكم هذه المدينة شخص يدعى ينال خان وهو ابن خال السلطان وكان متعجرفاً مغروراً معتمداً على قرابته من أم السلطان ونفوذها فعندما وقع بصره على القافلة وما يحمله التجار المغول طمع في أموالهم فكتب إلى السلطان أن هؤلاء جواسيس في هيئة تجار قدموا لإستطلاع الأخبار عن قوة الخوارزميينتمهيداً لمهاجمتهم فصدقه السلطان وطلب منه مراقبتهم ولكن ينال خان قتل التجار وأستولى على أموالهم وفر شخص واحد وأخبر جنكيز خان وهناك روايات تقول : أن غاير خان أرسل إلى السلطان يخبره بخبرهم فامر بدون تفكير أباحة دمهم وإغتصاب أموالهم ؛ وفي رواية أخرى لدى ابن الأثير تقول : أن السلطان امر بمصادرة أموالهم وإرسالهم إليه كما أمر بقتل جميع أفراد القافلة وباع السلع على تجار بخارى وسمرقند . وعندما علم جنكيز خان بما حل بالتجار غضب وحاول أولاً : أن يحسم الأمر مع الخوارزميين وذلك بأن أرسل ثلاثة رجال مسلمين يحملون رسالة إعتراض على ما حصل ويطلب تسليم حاكم أترار حتى يقتص منه فرفض السلطان تسليمه لأسباب منها : - ١ – ينال خان ابن أخ تركان خاتون

والدة السلطان وكانت إمرأة قوية تحمي أقاربها وتقف إلى جانبهم بتأييد من قبيلتها أتراك القنقلي إذ كانوا طوع أمرها فلو أرسله السلطان لتعرض لثورة عسكرية من رجال الجيش المؤيدين لوالدته فيزول عرشه ٢ – لو سلمه يكون السلطان قد أقر بضعفه وتخاذله أمام جنكيز خان في حين يريد أن يبدو رجلاً قوياً ؛ لذا لم يتوقف طيش السلطان فقتل رسل جنكيز خان سنة ٦١٥ هـ فقطع كل أمل في التفاهم مع المغول وأصبحت الحرب لا مفر منها . والخلاصة : بسبب حادثة أترار جر السلطان على نفسه والممالك الإسلامية الخراب والدمار . وهناك من يرى أن أطماع جنكيز خان لم تكن لتتوقف حتى لو لم تقع هذه الحادثة لأن كل من يغزو إقليم تركستان لا بد أن يواصل إلى إيران ، إضافة إلى أن المغول منذ السنوات الأولى أعد جنكيز خان العدة لإخضاع العالم وقد وطنوا أنفسهم لذلك لإشباع رغبة السلب والنهب والقتل فالحادثة أعطت جنكيز خان الحجة لتبرير الهجوم وكانت الحادثة السبب المباشر للحرب .

حملات جنكيز خان على الدولة الخوارزمية : - موقف خوارزم شاه : كان على السلطان أن يقنع رعاياه بقتال المغول فرعاياه يعلمون أن ضحايا المذبحة كانوا مسلمين فاصبح موقفه حرجاً لأنه فقد حجة الإقناع . أما جنكيز خان فظن أن السلطان رجل قوي وأن حكومته من أقوى الحكومات لذلك أستعد وسار بجميع أبنائه وجيوشه متجهاً إلى ما وراء النهر وكان الوقت خريف عام ٦١٦ هـ ومعه أمراء القرلق والأويغور الذين دخلوا في طاعته . خطة الهجوم على منطقة ما وراء النهر : قسم جيشه إلى أربع جيوش للهجوم على الجهات الأربعة وكلف كل جيش بالإستيلاء على منطقة معينة ١- جيش بقيادة ابنيه (جغتاي وأوكتاي) وعدده (٧٠ ألف) ومهمته الإستيلاء على مدينة أترار ٢ – جيش بقيادة ابنه الكبر جوجي ومهمته الإستيلاء على البلاد الواقعة على ساحل نهر جيحون وخصوصاً مدينة جند وهي إحدى الحصون الإسلامية على هذا النهر ٣ – فرقة صغيرة مكونة من (٥ الآف) مهمتها الإستيلاء على مدينتي بناكت وخجند وهما من أهم المنافذ على نهر سيحون ٤ – الجيش الرابع به أغلب قوات المغول بقيادة جنكيز خان ومعه ابنه تولوي واتجه إلى وسط إقليم ما وراء النهر خاصة بخارى . ونستنتج من هذا التقسيم علم المغول التام بالأقاليم فلديهم معلومات عن الطرق التي سيسلكها والتي عرفوها من خصوم السلطان الذين لجأوا إلى جنكيز خان بل حثوه على مهاجمته .

تم الإستيلاء على اترار بعد ان صمدت خمسة أشهر وهي محاصرة وأسر حاكمها ينال خان وقتل كما قتل المغول أكثر سكانها ونهبوا الممتلكات وخرجوا منها للحاق بجيش جنكيز خان الذي يواصل إستيلاؤه على المناطق الوسطى في إقليم ما وراء النهر . وأستطاع جوجي الإستيلاء على مدينة سقناق وإتجه إلى مدينة جند أستولى أثناء مسيره إليها على الكثير من

الحصون والقلاع ولما وصلها وجد ان الحامية خرجت منها وترك امرها للأهالي للدفاع عنها الذين سلموها بعد ممانعة منهم وتشديد الحصار عليهم ثم أجبر الأهالي على مغادرتها فدخلها المغول ودمروها وقتلوا فقط الذين أغلظوا القول له عندما دعاهم للتسليم وعفا عن الباقين ثم سار جوجي إلى إقليم خوارزم . أما الجيش الثالث فقد سار إلى منطقة فرغانة والوادي الأعلى من نهر سيحون وبدؤا بمحاصرة مدينة بناكت أو فناكت الواقعة على النهر وحكامها من الأتراك فسلموا المدينة وأنضموا إلى المغول لتعزيز الجيش وساروا نحو خجند إلى الجنوب من بناكت ومدينة خجند مشهورة بحدائقها وتجارتها وشجاعة أهلها وقوة بأسهم ويسمى حاكمها تيمور ملك وكان رجلاً شجاعاً كافح المغول فترة طويلة ولكنه خرج من المدينة لنها مكشوفة ويصعب الدفاع عنها فتحصن في جزيرة وسط نهر سيحون وقاتل المغول إلى أن ضيق عليه فترك النهر وسار إلى خوارزم ومنها إلى خُراسان وأنضم لقوات السلطان في شهرستان ثم رحل إلى الشام وعندما هدات الأمور عاد إلى فرغانة وكان يتردد على خجند وأخير قتل على يد المغول .

الإستيلاء على بخارى : وهي هدف الجيش الرابع بقيادة جنكيز خان وابنه تولوي ومعهما امهر القادة فحاصر بخارى التي سلمت فدخلها المغول عام ٦١٦ هـ فنهبت المدينة وأرتكب المغول الفظائع في اهلها ثم حرقوها ولم يبق منها إلا المسجد وبعض المباني القليلة التي كانت مبنية بالآجر أما قلعة المدينة فسقطت بعد ١٢ يوماً بعد سقوط وتدمير بخارى اتجه الجيش المغولي إلى سمرقند آخذين معهم الكثير من الأسرى لتسخيرهم في الأعمال الحربية وكانت خطتهم من إصطحاب الأسرى الإكثار من عددهم حتى يدخلوا الرعب في قلوب الأهالي وعندما وصل إليها المغول هجموا على سمرقند ثم تقهقروا فلحق بهم حامية المدينة التي اعد لها كمين أبيدوا فيه عن أخرهم فقتل ما بين ٥٠ ــ ٧٠ ألف ووصل الخبر إلى أهالي سمرقند فأنهارت مقاومتهم وكان بها قائد الجيش طغاي خان أخو تركان خاتون الذي ترك القتال بحجة أنهم مغول مثلهم بل طلب الأمان له ولحاميته وانضم إلى المغول ودخل المغول المدينة عام ٦١٧ هـ وأباحوا القتل ونهبت المدينة وأبقوا على من يصلح للقتال وأبقوا العمال والصناع وأرسلوهم إلى منغوليا وبهذا فتح الطريق إلى باقي الأجزاء . ثم عبر المغول نهر جيحون متعقبين خوارزم شاه وكان عددهم ٣٠ ألف وأستولوا في أثناء تعقبهم لخوارزم شاه على مدينتي بلخ وهراة . وكان خوارزم شاه قد قرر ان لا يجابه المغول في معركة وفر من أمامهم ولما أحس بقربهم منه أعطى أحد خدامه صناديق أمواله ومجوهراته لتحفظ في قلعة أردهن ولكنها وقعت في يد المغول ؛ وأرسل خوارزم شاه أولاده ونساؤه مع ابنه غياث الدين إلى قلعة قارون . وأستطاع خوارزم شاه أن يصل إلى بحر قزوين ويستقل مركباً متجهاً إلى جزيرة في وسط البحر ولما وصلها كان مريضاً

وسمع أن والدته أسرت وهناك عين ابنه جلال الدين منكبرتي ولياً لعهده ووصل إلى سمعه أن أولاده الصغار ونساؤه أسرن فلم يتحمل الخبر ومات ودفن في تلك الجزيرة عام ٦١٧ هـ .

الإستيلاء على إقليم خوارزم : كان هدف جنكيز خان ١ – تعقب خوارزم شاه ٢ – الإستيلاء على عاصمة إقليم خوارزم جرجانية ٣ – أسر تركان خاتون والدة السلطان وبذلك يقضي على الدولة نهائياً : أسباب فشل الدفاع عن خوارزم : - ١ – كانت خوارزم خاضعة لتركان خاتون والتراك من قبيلتها المسماة بالقنقلي ٢ – كبر سن أم السلطان وتسرب اليأس إلى نفسها بسبب ما حصل لأبنها ٣ –النزاع بين أبناء السلطان حول ولاية العرش . فسهل ذلك سقوط الإقليم مع انه كان يمكنهم الدفاع عنه .

مقدمات الإستيلاء على خوارزم : حاول جنكيز خان إستغلال الخلاف بين السلطان وأمه فأرسل إليها رسول يدعوها إلى الإستسلاموأنه ليس بينه وبينها حرب وإنما حربه مع السلطان وطلب منها إرسال أحد معاوينيها ليسلمه فرمان توليتها على خوارزم وخُراسان وملحقاتها فلم تستجب وغادرت الإقليم مع نساء وأبناء السلطان وأموالها وجواهرها وعبرت نهر جيحون قاصدة خُراسان ومنها إلى مازندران وأحتمت احد القلاع الحصينة هناك ولكن لحق بها المغول وحاصروا القلعة إلى ان سقطت وأسروا أم السلطان وعاشت لدى المغول ذليلة إلى ان ماتت عام ٦٣٠ هـ وقتل أبناء السلطان كلهم رغم صغر سنهم .

وبعد وفاة السلطان عاد أولاده الكبار إلى خوارزم وأستقبلوا بالترحاب وكونوا جيشاً كبيراً مكون من القبيلة التي تنتمي إليها تركان خاتون ولما علم الجيش باختيار جلال الدين منكبرتي وخلع أزلاغ شاه ثاروا ولم يقبلوا بالتغيير ودب الخلاف بينهم وتركوا مواجهة المغول بل حاولوا القبض على جلال الدين لإيداعه السجن والخلاص منه نهائياً . ولما علم جلال الدين بما يدبر له هرب إلى خُراسان ومعه ٣٠٠ فارس بقيادة تيمور ملك حاكم جند السابق . كان جنكيز خان يعلم بأهمية موقع خوارزم وكثرة عدد سكانها وإشتهار أتراك القنقلي بالشجاعة والبأس لذا : أتخذ احتياطاته ومنها ١ – جلب معظم قواته من عدة جهات ٢ – امر ابنيه جغتاي واوكتاي بالتحرك بقواتهما من غقليم ما وراء النهر والتوجه إلى جرجانية ٣ – كلف ابنه جوجي المرابط بالقرب من مدينة جند بالمسير لمساعدة أخويه ٤ – بلغ عدد جنده ١٠٠ ألف أما الخطوات التي أعدها للإستيلاء على مدينة جرجانية فهي : ١ – تقدمت طلائع جيش المغول إلى ابواب المدينة فظن الناس انها كل قوات المغول فتعقبوهم ولما بعدوا عن المدينة أطبقوا عليهم بقوات أخرى في كمين أعد سابقاً وقتلوا عدداً كبيراً منهم ٢ – تقدمت قوات جغتاي واوكتاي وحاصرت المدينة

ودعوا السكان إلى التسليم ولكنهم رفضوا ورموهم بالمجنيق إلى أن نفذت الحجارة وأستعملوا بدلاً عنها سيقان الأشجار ٣ – وصلت قوات جوجي وحاصرت المدينة من جميع الجهات وأرسلوا رسالة تدعوهم إلى التسليم ولكنهم رفضوا وكان خوارزم شاه قبل وفاته قد أوصاهم بمسالمة المغول حقناً للدماء فلم يقبلوا ٤ – أمر جوجي الأسرى بحفر خندق حول المدينة وملؤه بالماء ثم أمر جنده بتخريب السور ٥ – فزع قائد الحامية فطلب الصلح وسلم جميع قواته . ولكن كان موقف الأهالي مختلفاً فقد أستمروا في المقاومة إلى أن سقطت المدينة عنوة فبادر المغول إلى إزالت سد نهر جيحون وأغرقوا المدينة وأسروا النساء والأطفال وقتلوا الرجال ويقال أن كل مغولي قتل ٢٤ رجلاً أما أرباب الحرف والصناعات وعددهم ١٠٠ ألف فقد أخذوا إلى إقليم منغوليا ولم يبق أحد بالمدينة على قيد الحياة وزالت من الوجود مدينة جرجانية بعد حصار دام ٤ أشهر وقد كانت مدينة جرجانية زينة المدن إتساعاً وعمراناً وعدد سكان بها العديد من المدارس والمكتبات والعلماء والشعراء ولها مكانة تجارية مهمة بين جرجان وممالك طوائف الخزر ووادي القبجاق وتربط بين ما وراء النهر وكاشغر والصين .

الإستيلاء على إقليم خُراسان : حرص جنكيز خان على فتح بقية الأقاليم المكونة للدولة الخوارزمية في وقت سريع وهدفه : ١ – القضاء نهائياً على الدولة ورؤسائها ٢ – العمل على بث الرعب والفزع في نفوس الأهالي ليسرعوا بالخضوع لذا أعد حملة لغزو إقليم خُراسان بعد ان أستولى على نخشب وترمذ فعبر نهر جيحون وتوجه إلى بلخ على الضفة الغربية وهي من أهم مدن إقليم خُراسان وعندما وصلها أبدى الأهالي الإستسلام ولكن ظهور جلال الدين منكبرتي في المنطقة وتأييد الأهالي له أدى إلى : - ١ – لم يؤمن الأهالي على حياتهم ٢ – أمر بتهجير الجميع إلى خارج المدينة ٣ – قتلهم كلهم دفعة واحدة ٤ – خرب المدينة تخريباً كاملاً ٥ – ترك بقية فتح الإقليم وأتجه إلى الطالقان لإخضاع المدينة الواقعة أعالي نهر جيحون تاركاً مهمة غزو إقليم خُراسان لابنه تولوي . توجه تولوي بجيش قوامه ٧٠ ألف قاصداً خُراسان عام ٦١٧ هـ وتقدمت طلائع عددها ١٠ الآف بقيادة طغاجار نويان زوج ابنة جنكيز خان وأتجهت إلى مدينة نسا فأصيب بسهم قائدها المغولي ومات فجن طغارجار وجنوده وأدى هذا إلى : ١ – تشديد الحصار على المدينة ٢ – حصار قلعتها ١٥ يوماً ٣ – لم يكفوا عن القتال لا ليل ولا نهار ٤ – نصبوا ٢٠ منجنيقاً لرمي المدينة ٥ – سقطت المدينة ٦ – قتلوا الجميع .

سقوط مدينة مرو : هدف تولوي الرئيس الإستيلاء على مدينة مرو عاصمة الإقليم ، فسار على رأس جيش كبير ؛ وكانت مرو عامرة عرف أهلها بالثراء وكانت مقر السلاجقة واختارها الخوارزميين حاضرة لهم بعد أخذها من السلاجقة ، كان بها المكتبات والمدارس والعلماء

والأدباء . وصل إليها تولوي وطلب من اهلها الإستسلام ولعدم قدرتهم عن الدفاع عنها وافقوا ولكن المغول نقضوا العهد ودخلوا المدينة وقتلوا جميع السكان ماعدا ٤٠٠ شخص من أرباب الحرف والصناعات أبقوهم للإستفادة منهم في الأعمال الحربية ، وهدم المغول المدينة عن آخرها ونبشوا قبر السلطان سنجر ظناً منهم أنهم سيجدون ذهباً وفضة .

تدمير مدينة نيسابور : - نيسابورمدينة عامرة لها مكانة في الحضارة الإسلامية أتخذها عاصمة السامانيون والغزنويون وأرتفع شأنها عند السلاجقة والخوارزميون . توجه إليها طغاجار بعد تدميره لمدينة نسا وحاصرها في شهر رمضان عام ٦١٧ هـ وفي اليوم الثاني من الحصار قتل طغاجار فرأى القائد بعده إنتظار تولوي ليقوم بالمهمة . وعندما وصل كان كله حقد على قتل طغاجار زوج أخته وصمم على أخذ الثأر وتوقع الأهالي الشر ولكنهم عجزوا عن الدفاع عنها لذا أرسل قاض المدينة يعرض الصلح ويتعهد الأهالي بدفع مبلغ سنوي له لكنه رفض وفي العاشر من صفر عام ٦١٨ هـ هاجمها من كل جانب ودخلها وقتل كل من فيها حتى القطط والكلاب وجمعوا رؤوس الرجال وبنوا بها هرماً وكذلك فعلوا بجماجم النساء والأطفال .

مدينة هراة : - لم يبق من المدن الهامة سواها توجه إليها تولوي ولكنه لم يقتل منها إلا ١٢ ألف وهم أنصار السلطان جلال الدين منكبرتي وتركها ولحق بوالده عند الطالقان في اعالي نهر جيحون . والخلاصة مما سبق نجد أن تولوي في مدة لا تزيد على بضعة أشهر تدمير جميع مدن خُراسان إبتدأً من حدود مرو والوذ حتى بيهق ومن نسا وأبيورد حتى هراة .

سيطرة المغول على إقليم غزنة : سار جنكيز خان إلى مدينة باميان فقاتله أهلها وقتلوا الأمير موتوجن بن جغتاي وكان أحب أحفاده إليه ؛ فأقتحم المدينة وقتل كل شيء حي وسماها (ماو باليغ) أي مدينة البؤس) .

السلطان جلال الدين منكبرتي : سار بعد موت والده إلى خوارزم ولكنه تركها عند هجوم المغول على الإقليم فقصد نسا ثم نيسابور ثم غزنه وكان حاكماً عليها من قبل أبيه ؛ رحب به الأهالي وكون جيشاً من جميع الأجناس وأنضم إليه الجيوش المشتتة في كابل وبيشاور وغيرها بلغ جيشه ٦٠ ألف من المشاة و٧٠ ألف من الخيالة . وخرج في ربيع عام ٦١٨ هـ فتقابل مع طلائع جيش المغول وهزمهم وقتل ما يزيد عن ١٠٠ ألف وفر الباقون وعبروا نهر جيحون وحطموا السد واخبروا جنكيز خان بما حدث . عاد جلال الدين منكبرتي إلى بيروان ونظم جيشه للمعركة التالية أما جنكيز خان فأرسل جيشاً كبيراً واستمرت المعركة بينهما يومان اليوم الأول لم تحسم فيه المعركة وفي اليوم الثاني أوهم جنكيز خان جلال الدين أنه قدم له مدد ولكن

لم تنطلي عليه الحيلة فأوقع جلال الدين بهم خسائر كبيرة . وكان من نتائج الإنتصار على المغول : ١ – فرح المسلمون بالإنتصار ٢ – قامت ثورات أسفرت عن مقتل حكام المغول ٣ – ثار الأهالي في هراة وقتلوا حاكمها المغولي ٤ – عنف جنكيز خان ابنه تولوي لأنه لم يخلص على الأهالي ٥ – سير جيشاً كبيراً قتل جميع سكان هراة وخرب المدينة ٦ – قرر جلال الدين الصمود ٧ – حدث إنشقاق بين قائدان من قواد جلال الدين حول الغنائم فأعتدى أحدهما على الآخر وحاول الصلح بينهما ولكنه لم يفلح فرحل أحدهما بجيشه تاركاً جلال الدين في موقف حرج . إذ وجد نفسه عاجزاً عن المواجهة فتقهقر نحو السهل الواقع غرب نهر السند عندما علم أن جيوش جنكيز خان تتعقبه . وأحتمى جلال الدين بالحدود الهندية وبذل جهده ولكنه أدرك أنه لن يستطيع المتابعة فلجأ إلى شاطئ النهر وعبر النهر بفرسه وتبعه الكثير الذين قتل منهم العديد بسهام المغول وغرق الباقي وأسر ابن جلال الدين وعمره سبع سنوات فقتل امام جنكيز خان ويقال أنه غرق والدته وحريمه خوفاً من وقوعهم في الأسر . أعجب جنكيز خان بشجاعة جلال الدين وقال أنه سيسبب لهم متاعب لا حصر لها .

عودة جنكيز خان إلى منغوليا وموته : بعد تحقيق هدف جنكيز خان من السيطرة على ممتلكات الدولة الخوارزمية وتتبعهم تقتيلاً وتشريداً قرر بعدها جنكيز خان العودة إلى منغوليا وكان لذلك سبب وهو : علم بقيام ثورة في شمال الصين والتبت . وفي أثناء عودته وقف على حدود الدولة الخوارزمية ومعه تركان خاتون لتلقي آخر نظرة على وطنها وتكفر عن قسوتها وتبكي على املاكها الضائعة ، كما امر بقتل كل الرهان من امراء السلاجقة والغوريين الذين أسرهم . وفي ربيع سنة ٦٢٠ هـ في صحراء قلان باشي عقد اجتماع كبير يسمى قوريلتاي للتشاور ورسم الخطط للمستقبل . وبعد الاجتماع عاد جوجي إلى وادي القبجاق أما جنكيز خان فبقى في صحراء قلان باشي ولم يعد إلى منغوليا إلا في سنة ٦٢٢ هـ وفيها قام بآخر حملة على ولاية التانجوت في شمال التبت لإخضاع ملكها الذي ثارعليه . ومرض جنكيز خان واستدعى أولاده وأوصى ان يخلفه ابنه أوكتاي ومات بعدها في إقليم سو الصيني غير بعيد عن مدينة تسمى تسن جو من النصف الأول من رمضان عام ٦٢٤ هـ وحمل جثمانه إلى منغوليا ودفن في المنطقة ؛ وقبل موته بـ٦ أشهر توفى أكب أولاده جوجي وقيل : أن جوجي أصفى نفساً من ابيه فلم يرض عما يفعله فصمم على الإنضمام إلى المسلمين فعرف أخوه جغتاي وأخبر أباه فدس السم له . وقيل أن جنكيزخان كان يسيء الظن بجوجي فعندما رجع إلى منغوليا أرسل يستدعيه فأعتذر بمرضه وأخبره شخص من التانجوت أنه صحيح فأرسل ولديه أوكتاي وجغتاي على رأس جيش كبير إلى القبجاق للقضاء عليه ولكنهما علما بموته قبل وصولهما .

خلفاء جنكيز خان من أسرة اوكتاي قا آن : - كان لجنكيز خان زوجات ومحظيات ولكنه يفضل زوجته يسونجين بيكي لذا عز ابناؤه منها وقدمهم على غيرهم فقد أنجب ٩ أولاد منهم أربعة من زوجته يسونجين بيكي وهم ١ – جوجي : أكبر ابنائه كلفه بالإشراف على شئون الصيد وتنظيم القصور وتزيينها ٢ – جغتاي : الثاني وكل إليه تنظيم شئون القضاء والعمل على تنفيذ أحكام وقوانين جنكيز خان وتوقيع الجزاء والعقاب على المقصرين ٣ – أوكتاي : الثالث كلفه بالشئون المالية والإدارية وتنظيم شئون الملك وتدبير مصالح الناس ٤ – تولوي : مكلف بمباشرة الدفاع وإعداد الجيوش ويدعى ألغ نويان . ورأى جنكيز خان أن أفضل وسيلة لتدريبهم مباشرة مهام الحكم وتحميلهم المسئولية ويكون بذلك بتقسيم الإمبراطورية بينهم وهو على قيد الحياة . وهذا هو المتبع في الشعوب البدوية . فما يمتلك من بلاد ليس ملكاً للحاكم بل للأسرة فيخص كل فرد منها بعدد من القبائل وله موطن يشتمل على مساحة من البراري لتمارس الرعي ويتوفر له خراج يكفي لإنفاقه على بلاطه وعساكره والخراج يؤخذ من الشعوب الخاضعة في الصين وتركستان وإيران . وطبقاً للقانون المغولي يعطي الأب قسماً من املاكه لأبنائه الكبار حسب سنهم ويترك الجزء الأهم لأصغر أبنائه فكان تقسيمه كما يلي : ١ – جوجي الأبن الأكبر : أخذ البلاد الواقعة بين نهر أرتش والسواحل الجنوبية لبحر قزوين وتسمى هذه البلاد قبجاق ويطلق عليها اسم القبيلة الذهبية نسبة إلى خيام معسكراتها ذات اللون الذهبي وأغلب أهلها من الترك والتركمان . وبعد وفاة جوجي قرر جنكيز خان تركها لبن جوجي باتو الذي أشتهر برقة العاطفة وعذوبة الحديث وشدة التعقل وأصبح رأس بيت جنكيز خان وقام بدور حاسم فيما نشب من منازعات على ولاية عرش الإمبراطورية . ٢ – أعطى جغتاي بلاد الأويغور وأقابيم ما وراء النهر وكاسغر وبلخ وغزنة ٣ – نال أوكتاي ولاية العهد ونصيب أقل من أخوته اقتصر على مناطق جبال تارباجاي وأطراف بحيرة الأجول وحوض نهر ايميل الذي يصب في تلك البحيرة ويقع غربي منغوليا . ٤ – أخذ تولوي منغوليا حكمها سنتين بوصفه وصياً على العرش من ٦٢٤ / ٦٢٦ هـ طبقاً للعرف المغولي بمساعدة ثلاثة من المستشارين إلى أن انتخب خاناً أعظم خلفاً لجنكيز خان .

اختيار أوكتاي ولي العهد : - أتصف أوكتاي بخصب القريحة وسعة الأفق وسماحة الوجه وعبقرية ونشاط وإدراك سليم للإمور مما جعله مقبولاً لدى الناس . بينما أتصف تولوي بالمواهي العسكرية ، وأتصف جغتاي بالصرامة التي أستفاد منها في تحقيق المبادئ الأساسية لنظام جنكيز خان . وأشترك جميع الأبناء والأحفاد والأعمام في إدارة البلاد وحيازة الأموال والأملاك ، ولكن رأى جنكيز خان أن الإمبراطورية المغولية لتبقى قوية متحدة لا بد أن تسلم

لشخص كفء يخضع له الجميع ويأتمرون بأمره . ساس أوكتاي الإمبراطورية وحقق الوفاق وأزدهر العمران وأحس الرعية برخاء نسبي .

اختيار أوكتاي خاناً أعظم للمغول : ظل العرش خالياً مدة سنتين واخيراً عقد مجلس الشورى القوريلتاي ويجب أن يخرجوا متضامنين وبعد ثلاثة أيام من الأنس أختاروا أوكتاي الذي أعتذر أولاً ورشح أخاه الصغير تولوي لأنه الذي يقوم مقام الأب طبقاً لتقاليد المغول ويتعهد داره وهو ملازم لأبيه ليلاً ونهاراً ويعرف الأصول والقوانين . ولكن اخوته ذكروه بوصية والده ونصب خان عام ٦٢٦ هـ . أعمال أوكتاي وهو خان أعظم : ١ – وزع الموال على الأقارب والعشائر ٢ – أمر بتقديم الطعام ثلاثة أيام متتالية صدقة على روح ابيه ٣ – اختار ٤٠ فتاة حسناء من نسل الأمراء الذي كانوا يلازمونه والبسوهن أفخر الثياب وزينوهن بالمجوهرات ثم أرسلوهن على جياد أصيلة إلى روح جنكيز خان ٤– أمر أن تكون كل الأحكام التي أمر بها جنكيز خان نافذة وبعيدة عن التبديل ٥ – أصدر عفواً شامل عن مرتكبي الذنوب قبل تنصيبه وهدد بالعقاب للمخالفين ٦ – أهتم بالغزو الذي بدأه والده فكون الجيوش لغزو إيران والصين وأوروبا .

حروب المغول في إيران : بعد موت جنكيز خان أنصرف المغول عن كل شيء وأهتموا بأمورهم الداخلية من الإعداد لإختيار خان ؛ وفي هذه الأثناء كون جلال الدين جيشاً كبيراً في الهند مستغلاً إنشغال المغول وانسحابهم من أقاليم الدولة الخوارزمية ؛ ثم عاد إلى موطنه وعبر نهر السند سنة ٦٢٢ هـ وقصد إيران وهو مليء بالحقد على الذين مهدوا لوقوع الكارثة بسبب ضعفهم وتحريض المغول على مهاجمة الدولة في عهد والده وفي مقدمتهم الخليفة ، واستغل بعض حكام الأقاليم رحيل المغول فأستقلوا بها في خُراسان وغيرها ، أما جيرانه من الحكام والأمراء لا زالوا على أنانيتهم وخلافاتهم وضيق أفقهم ولم يتعلموا مما سبق . لذا كان لا مفر من أصطدام جلال الدين بهم فنجده : حارب جميع الطوائف تقريباً ، حارب المغول المتعقبين له حارب أخاه غياث الدين وأجبره على الدخول في طاعته ولكنه عاد وخذله في أحلك الظروف عندما كان يحارب المغول ، سيطر على الأقاليم الغربية للدولة ، عمل على بسط نفوذه على الأقاليم المجاورة ، فأخضع الخليفة وأنتصر على جيوشه وبعدها هادنه سيطر على إقليم أذربيجان وعاصمته تبريز اتجه إلى جورجيا وسيطر على عاصمتها تفليس عام ٦٢٣ هـ . حارب الإسماعيلية وأنتصر عليهم أخذ مدينة خلاط عام ٦٢٧ هـ من صاحبها الأشرف موسى ابن الملك العادل الذي كون حلف ضد جلال الدين وأستطاعوا هزيمته بالقرب من خلاط وبعدها تبادلوا الرسائل للصلح وضرورة التكاتف ضد عدوهم . وكان لهزيمة جلال الدين تأثير على الأحداث فأستغل الإسماعيلية الفرصة وراسلوا المغول يبلغونهم بضعف جلال الدين ويحثونهم

على القدوم . والمغول لم يكونوا بحاجة إلى تحريض بعد أن أستقر أمرهم لأنهم أستأنفوا الزحف مرة بعد تنصيب أوكتاي بدأت الغارات مرة أخرى للقضاء على الدولة الخوارزمية نهائياً فالقوات المغولية الموجودة في إقليم ما وراء النهر تشن الغارات وتارة تنتصر على جلال الدين وتارة تنهزم لذا عين أوكتاي قائد مشهور هو جُرماغون نويان على رأس جيش كبير عدده (٥٠ ألف ومعه أمهر القادة المغول و٥٠ ألف من الأسرى كجند غير نظاميين .

نهاية السلطان جلال الدين منكبرتي : أستطاع المغول إسترجاع كل الأقاليم التي خضعت لجلال الدين وهم تعقب جلال الدين والقضاء عليه لأن ذلك يكفل لهم السيطرة على الأقاليم الخوارزمية ولم يتمكن جلال الدين جمع جيشه حيث كان المغول يتعقبونه ولما شعر بعظم الخطر على العالم الإسلامي أخذ يدعو أمراء المسلمين للتحالف وذهبت جهوده سداً وبقى وحيداً والمغول يتعقبونه وهو يحاربهم حتى يئسوا من اللحاق به وبلغ جلال الدين إحدى قرى ميافارقين وأحتمى بجبال كردستان ولكن قتله أحد الأكراد طمعاً في ملابسه . وبقى الناس في شك من موته ونسجت حوله الأساطير .

تحليل شخصية جلال الدين : كان قصير القامة أسمر اللون لغته الأصلية التركية ويتكلم الفارسية أمه هندية لذا حقدت عليه تركان خاتون وأبعدته عن ولاية العهد بالرغم أنه أكبر اخوته كان شجاعاً محارباً من الطراز الأول ولكن ينقصه التدبير والتنظيم فلم يحاول الإهتمام بإدارة شئون الدولة وإعداد الجيوش ولم يتقرب من الرعية ولم يكسب صداقة جيرانه من حكام المسلمين يحكم بالسيف في أموره ، همه الغزو ،لذا سخر موارد الدولة لهذا الأمر فأهمل الإصلاح الداخلي حتى عجز عن دفع رواتب الجند الذين خربوا المدن ليعوضوا عن رواتبهم ، كان عاكفاً على اللهووالشراب يظهر الإستهتار حتى في أحلك الظروف ، تصرف تصرفات غريبة خاصة عندما مات خادمه وكان يحبه فأمر الجميع بالنواح عليه لذا هو : جندي محارب وليس حاكم سياسي ، ميال إلى الأبهة شديد الولع بالخمر ، جيوشه تعيش على السلب والنهب

لما قتل جلال الدين تخلص المغول من أخطر أعدائهم ومهد الطريق للغزو والخراب .

المغول يواصلون زحفهم في البلاد الإسلامية : قسم المغول جيشهم إلى ثلاثة جيوش الأول أتجه إلى ديار بكر إلى أن بلغ ساحل نهر الفرات وبالغ المغول في القتل والسلب . الجيش الثاني قصد مدينة بدليس فأحرقوها وأستولوا على بعض قلاعها المحيطة بخلاط . الجيش الثالث أتجه إلى أذربيجان وسلمت عاصمتها تبريز عام ٦٢٩ هـ لعدم وفاقهم مع جلال الدين إذ قتلوا حكام الخوارزميين وسلموا رؤوسهم للمغول فنجت من الخراب . ثم دخل المغول أربل فتحصن أهلها

في قلعتها ٤٠ يوم رحل بعدها المغول عندما سمعوا بوصول مدد إليها . ثم أنتقل المغول إلى العراق عام ٦٣٤ هـ وبلغوا سامراء وأعلن الخليفة الجهاد وأعد جيش بقيادة مجاهد الدين الدواتدار فهزم المغول وفك أسر كثير من المسلمين ولكن عاد المغول وهزموا المسلمين وقتلوا عدد كبير منهم ثم أتجه المغول شمالاً وهاجموا جورجيا وبطشوا بالسكان لمقاومة ملكتها روسودان وسقطت عاصمتها تفليس . أما أرمينيا الكبرى خربت عاصمتها آني وقتل أكثر أهلها لمقاومتهم للمغول الذين حاصروها فترة طويلة وعاملوا إحدى مدنها معاملة سيئة وهي قرس بالرغم من إستسلامهم فذبحوا الجميع إلا الأطفال والصناع .

بعد ذلك أحسن المغول معاملة أرمينية وجورجيا وأكتفوا بأخذ الجزية وأقروهم على مناصبهم وسيطر بذلك المغول على كامل الأقاليم الشرقية للدولة الخوارزمية إذ سلمت لهم سجستان وغزنين وكابل وحدود السند . وفي سنة ٦٣٩ هـ عزل جرماغون لإصابته بالشلل وعين بدلاً عنه بايجونويان .

سلاجقة الروم : أستغل المغول النزاع بين سلاجقة الروم في آسيا الصغرى وبين حكام مصر والشام فسار إليهم بايجو في نفس سنة تعيينه بجيش عدده ٣٠ ألف وألتقى مع قوات السلطان غياث الدين كيخسرو فهزم وسقطت المدينة وقتل عدد كبير من سكانها وأسر الباقين ؛ وفي السنة التالية أستعد السلطان غياث الدين بجيش مكون من الأرمن والمسلمين والكرج واليونان والفرنج وألتقى مع المغول في موضع يسمى كوسه طاغ أي الجبل الأقرع عام ٦٤٠ هـ وأنتصر المغول وكان سبب الهزيمة : عدم تجانس الجيش . وكان من نتائج هذه المعركة : -

١ – هزيمة السلطان غياث الدين وتحصنه في مدينة أنقورة ٢ – أستولى المغول على سيواس وقيسارية وخربوهما ٣ – ملك المغول أرزنجان وقتلوا رجالها وسبوا الذراري ونهبوا وخربوا سورها ٤ – وقوع الأناضول في قبضة المغول وفقد السلاجقة مقدرتهم على المقاومة ٥ – إعلان غياث الدين خضوعه للمغول وتعهده بدفع الجزية لهم ٦ – القضاء على إستقلال السلاجقة ٧ – أصبح أمراء السلاجقة يتولون فرادى ومثانى أو أكثر بمراسيم من المغول ٨ – ظهور رجال أكتسبوا ثقة المغول وأصبح نفوذهم أكبر من السلاطين السلاجقة ٩ – الحكام الحقيقيين قواد الجيش المغولي وهم الرقباء على إدارة السلاجقة ١٠ – مصروفات السلطان السلجوقي والأمراء وتكاليف جيش المغول وكبار القوم من المغول بالإضافة إلى الأتاوات التي ترسل والهدايا للمغول كانت على حساب الناس فزادت المشكلات المالية وضجر الناس من كثرة

الضرائب ١١ – الأجهزة الإدارية متداخلة وفاسدة وتعمل ضد الشعب ١٢ – إزدياد الفتن بين سلاطين السلاجقة وأمرائهم وسعي بعضهم ضد بعض عند المغول .

خلفاء جنكيز خان : أولاً ابنه أوكتاي : أتصف بالطيب في معاملة المسلمين ثانياً : كيوك خان ابن أوكتاي كان ميال للمسيحيين ثالثاً : منكوقا أن ابن تولوي : أتصف بعدم التعصب لا يفرق بين المسلمين والمسيحيين والبوذيين في المعاملة رابعاً : قوبيلاي قا آن ابن تولوي عرف بعدم التعصب .

حملة هولاكو خان على إيران والقضاء على الإسماعيلية : - بعد أن تولى منكوقا آن عرش المغول وقضى على الفتن الداخلية وجه همه إلى الغزو والتوسع فكلف أخاه هولاكو خان بقيادة حملة على إيران وكانت خطة الغزو : كان الإعداد دقيقاً بحيث يكفل النصر فمن ضمن التدابير لضمان النصر : ١ – قيادة الجيش لهولاكو ٢ – إمداد الجيش بالكثير من القوات التي مارست الحرب وأنتصرت ٣ – أرسل رسلاً إلى بلاد الخطا لإستدعاء ألف أسرة من الماهرين في إستخدام إدوات القتال مثل المنجنيق وقاذفات النفط ورمي السهام ٤ – إصدار الأمر باختيار اثنين من كل عشرة رجال من خيرة جنود جنكيز خان ليكونوا حرساً خاصاً لهولاكو ٥ – أرسل الرسل والمرشدين لإختيار الطريق الذي سيسلكه جيش هولاكو إبتداءً من قراقورم عاصمة المغول إلى نهر جيحون ٦ – أعتني بتموين الجيش من جميع أنحاء الإمبراطورية فوضعوا أيديهم على جميع المزارع والمراعي التي تمتد على طول الطريق ٧ –أقاموا الجسور على الأنهار العميقة وعلى مجاري المياه السريعة حتى يتمكن الجيش من العبور .

خطة الحرب : ١ - الجيش كبير لا حصر لعدده ومجهز وإتجاهه إلى إيران ، ٢ – المحافظة على تقاليد جنكيز خان وقوانينه الكبيرة والصغيرة ٣ – العطف على من يطيع الأوامر من جيحون إلى مصر والمهانة لكل من يعصي الأوامر ٤ – البدء بإقليم قهستان في خراسان وتخريب قلاعه وحصونه ٥ – التوجه بعدها إلى العراق لإزالت اللور والأكراد الذين يقطعون الطريق ٦ – عدم التعرض للخليفة إذا أطاع وإذا عصى يهلك ٧ – إستعمال العقل والحكمة والرأي السديد في جميع الأحوال مع اليقظة والتعقل ٨ – الترفيه والتخفيف عن الرعية في تكاليف المؤن ٩ – إعادة تعمير الولايات الخربة في الحال ١٠ – مشاورة دوقوز خاتون في جميع القضايا وهي زوجة تولوي وتزوج بها هولاكو وكانت إمرأة حازمة تدين بالمسيحية ١٠ – العودة إلى مقره الأصلي بعد إنجاز المهمة ويكون ما أستولى عليه ملك خاص له ولابنائه .

هولاكو والإسماعيلية : ولماذا هاجم هولاكو الإسماعيلية : ظل الإسماعيلية على صفاء مع المغول مدة طويلة فقد كان جلال الدين حسن بن محمد زعيم الإسماعيلية أول زعيم يرسل رسولاً إلى جنكيز خان ويقدم الطاعة عندما جاء على رأس جيشه إلى إقليم ما وراء النهر كما أتصلوا بالمغول ودعوهم أكثر من مرة لمهاجمة السلطان جلال الدين والقضاء نهائياً على الدولة الخوارزمية . لكن الأمور تغيرت بسبب : - أن الإسماعيلية لما رأوا أن مطامع المغول لا تقف عند حد وأنهم مستمرون في غزواتهم في الصين وأوروبا وخراسان والعراق العجمي وآسيا الصغرى خافوا وصمموا على مقاومة المغول لذا : - راسلوا الإنجليز وفرنسا عام ٦٣٧ هـ طالبين معونة الأوربيين الذين عرفوهم منذ الحروب الصليبية ولكنهم لم يجدوا جواباً بدليل أن أسقف مدينة ونشستر قال : دع هؤلاء الكلاب يأكل بعضهم بعض حتى يقضى عليهم نهائياً وعندئذ سوف نقيم على انقاضهم الكنيسة الكاثوليكية العالمية فنكون حقاً راعياً واحداً وقطيعاً واحداً . ولم يكتف الإسماعيلية بمراسلة الأوروبيين بل حاولوا تكوين إتحاد من جميع افمارات المجاورة لصد الخطر المشترك الذي يتهددهم . ولا شك أن هذه الاخبار وصلت إلى المغول وتبين لهم عدم إخلاصهم وهذا يفسر المعاملة السيئة التي لقيها الإسماعيلية الذين ارسلوا إلى قراقورم للإشتراك في القوريلتاياالمنعقد لاختيار كيوك خان عام ٦٤٤ هـ وقد رأى المغول ان غزالت الدولة العباسية لايتم إلا بإزالت الإسماعيلية لذا أوصى منكو قا آن أخاه هولاكو بالقضاء عليهم وتخريب قلاعهم وعدم إبقاء أثر لهم . ولا شك أن السبب الأساسي الذي شجع المغول على مهاجمة الإسماعيلية والقضاء عليهم هو : المسلمون الخاضعون للمغول ضجوا بالشكوى بسبب ما لاقوه منهم . ثم خرج جيش هولاكو عام ٦٥١ هـ ودعى الجميع للمساهمة في القضاء على الإسماعيلية ومن يرفض المساهمة يلقى مصيرهم وأتبع سياسة الترغيب والترهيب وأستطاع هولاكو إبادة الإسماعيلية وتدمير حصونها وقد فرح العالم الإسلامي بالخلاص منهم لكثرة ضررهم .

هولاكو وسقوط الخلافة العباسية : كان هدف هولاكو الثاني بعد القضاء على الإسماعيلية هو القضاء على الخلافة العباسية : وصلت الخلافة العباسية من الضعف درجة كبيرة لعدة أسباب منها إنصراف الخلفاء عن العرب وفقد هيبة الخلافة وضعف الإدارة وشغب الموالي وثورات العلويين وعدم الإستقرار والأمان وسوء الأحوال الاجتماعية . وكان آخر الخلفاء العباسيين الخليفة المستعصم بالله الذي لم يكن بالشخص الذي يقود المسلمين فهو قليل الخبرة ضعيف . وكانت أخبار المغول تصل إليه ولم يستعد لمواجهتهم إذ لم يكن زمام الأمور مركز في يد واحدة بل وجدت سلطات متداخله بالإضافة إلى العداء بينهم وكان وزير الخليفة شخص يسمى مؤيد

الدين ابن العلقمي وهو شيعي كما وجد شخص آخر يسمى مجاهد الدين أيبك الدواتدار وهذا جمع حوله العاع والمشاغبين وخطط لخلع الخليفة وفي المقابل نجد الخليفة يبدي عدم المبالاه بالإضافة إلى أن سكان بغداد من سنة وشيعة ومسيحيين ويهود كانوا على خلاف دائم حول المسائل الدينية وإختلاف الميول السياسية علاوة على الخراج المرهق وخراب المزارع .

وصلت الحملة إلى بغداد وحاصرها المغول وسقطت بعد أن خرج منها الخليفة مع كبارالوجهاء والقضاة والتجار بمشورة ابن العلقمي الذي راسل المغول . وقبض المغول على الخليفة وقتلوه ودخلوا بغداد واستباحوها ٤٠ يوماً وقيل أن عدد من قتل في بغداد يزيد عن ٨٠٠ ألف شخص .

نتائج سقوط بغداد : ١ – أصبحت بغداد مدينة ثانوية بعد ان كانت مركز النشاط السياسي والثقافي ٢ – أبتهج المسيحيين بسقوطها وهللوا لهولاكو وزوجته ٣ – خلو الأرض من خليفة جعل المسلمين يتطلعون إلى زعيم ٣- نظمت المراثي التي تثير الأسى في النفوس ونعي الخلافة ٤ – تأسيس دولة للمغول في ايران مستقلة عن قراقورم تعرف بدولة الإيلخائيين .

حملة هولاكو على الشام : - كان الهدف الثاني بعد بغداد الإستيلاء على مصر والشام وكانت الشام بها ثلاث سلطات ١ – الأرمن المسيحيين ٢ – الفرنج ٣ – الحكام المسلمين ممثلين في الأمراء الأيوبيين ولم يكن بينهم وفاق بالإضافة إلى تخاذلهم بالرغم من إمتلاكهم القوة والإقتدار وتقدم هولاكو لحصار ميافارقين الذي استمر سنتين إلى ان سقطت وقبضوا على ملكها الملك الكامل محمد بن المظفر بن العادل وقتلوه بأن أخذوا يقطعون لحمه قطعة قطعة ويدخلونها في فمه إلى أن مات ثم قطعوا رأسه . وتتابع سقوط المدن الشامية الواحدة تلو الأخرى ومنها حلب التي اباحها المغول بعد سقوطها ٧ أيام ثم سقطت حماة والمعرة وحمص ونتيجة لأنتصارات المغول السريعة في سوريا عم الخراب والدمار والقتل والتشريد والرعب وتقديم الأمراء الباقين فروض الولاء . وسلمت دمشق وبقيت قلعتها فحاصرها المغول وبعد سقوطها نهبوها . وبعد سقوط دمشق سنحت الفرصة للمسيحيين للتشفي من المسلمين ومن ذلك دق النواقيس وشرب الخمر في رمضان . وأصبح المسلمون لأول مرة في بلاد الشام منذ أن فتحوها أقلية مغلوبة على أمرها . ولم يصل المغول مطلقاً ألى بيت المقدس .

تغير الحال بعد ذلك إذ توفى منكوقا آن أخو هولاكو الأكبر في الصين سنة ٦٥٥ هـ وتنازع الأخوة على عرش المغول وبالرغم من أن هولاكو من حقه النافسة على العرش فضل مكاسبه في إيران والشام وأن يدعم أخاه قوبيلان ليكون الخان الأعظم للمغول . كما علم هولاكو أنه

مهدد من ابن عمه بركة خان الذي أعتنق الإسلام في بلاد القبجاق وتوعده لهولاكو بسبب ما فعله في الشام وبالخلافة ولهذا إضطر هولاكو للعودة إلى إيران ولكن إلحاح المسيحيين عليه جعله يبقي قائده كيتوبوقا وتحت إمرته ١٠ الآف مقاتل وعهد إليه بإدارة شئون سوريا .

ولكن بالرغم أن هذا القائد مسيحي وكان هناك حلف بين المغول والصليبيين في بلاد الشام نجد ان مسيحي عكا نظروا إلى المغول على أنهم برابرة لذا هاجم أحد بارونـاتها دورية مغولية فغضب المغول وبهذا انتهى الحلف المغولي الصليبي واستعاد الناس ثقتهم بنفسهم في مصر حيث كان يحكمها في ذلك الوقت المماليك وعلى رأسهم السلطان قطز الذي أستنفر الناس لقتال المغول وتقدم الجيش المملوكي لمواجهة المغول في معركة عين جالوت عام ٦٥٨ هـ والتقى الجيشين وأنتصر المسلمون وكان من نتائج هذه المعركة :

١ – تكمن اهميتها ليس لمصر والشام فحسب ولا في تاريخ الأمة الإسلامية وحدها بل تاريخ العالم بأسره .

٢ – إعادة الوحدة بين مصر والشام وحالت دون تقدم المغول إلى مصر وقضت على خرافة أن المغول قوم لا يغلبون . وقد صمم هولاكو على الإنتقام لكن الظروف لم تمكنه .

٣ – علمت المسلمين درس في افتحاد ضد الأخطار وبث روح جديد في نفوس المسلمين .

٤ – توطدت العلاقات بين حكام المغول المسلمين في القبجاق ومماليك مصر مما أدى إلى انتشار الإسلام بين السكان هناك . ومنحت مصر زعامة العالم الإسلامي من الناحية السياسية والثقافية .

موت هولاكو : خرج للصيد في شتاء عام ٦٦٣ هـ وأعترته نوبة شعر بعدها بتعب فنصحه الأطباء بشرب مسهل فأصيب بضعف وأغمي عليه وتوفى وعمره (٤٨ سنة) . وقد عرف عنه القسوة والغلظة وحبه لسفك الدماء . وكان ميالاً لبناء الأبنية وتشجيع العلماء وتخصيص رواتب لهم كما شغف بعلوم الحكمة والنجوم والكيمياء . كان هولاكو يعتنق البوذية فأقام العديد من المعابد للأصنام وكانت زوجته المفضلة تدين بالمسيحية لذا أحترم لأجلها المسيحيين وأسند لهم المناصب الهامة .